

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
بَيْنَهُمْ رَحْمَةً وَمِنْ بَيْنِهَا رِبًّا كَئِيمًا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ نَبِيًّا ﴾ [النساء: ١١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۝﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَسْمَأَكُمْ وَيُنْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
فَازَ فَتْرًا عَظِيمًا ﴿۝﴾ [الأحزاب: ١٠]

أنا بعد فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى ، وخير الهدى
هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وفي رواية للمسكوي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال :
قيل يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ قال : أتق الله الناس

للناس .

والطبراني عن زيد بن خالد مرفوعا : و خير العمل ما نفع ،

وخير الهدى ما أتبع ، وخير الناس أتقهم للناس .

وعزاه في الدرر للبيهقي في الشعب ، وأبي يعلى عن أنس

بسند ضعيف .

ولابن عدي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بلفظ :

والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أتقهم لعياله .

قال النووي في فتاواه : هو حديث ضعيف ، لأن فيه يوسف

بن عطية ، ضعيف باتفاق الأئمة .

ورواه إلفاظ عبد العظيم المنذري في أرييته عن أنس رضي

بلفظ : والخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه إليه أتقهم لعياله .

قال أبو عبد الله محمد السلمي في تخرجه : ومعنى و عيال

الله : فقراء الله فالخلق كلهم فقراء إلى الله . وهو الذي

يعملهم . انتهى

وله طرق بعضها يقوي بعضها .

والظلم

الظلم

أحب الخلق إلى الله

ثم أما بعد .. روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و الخلق كلهم

عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله .

قال المعجلزي في كشف الغطاء [١٢٢٠] : رواه الطبراني

في الكبير والأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا .

ورواه أبو نعيم وأبو يعلى والطبراني والبخاري وابن أبي الدنيا

وآخرون عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعا .

والطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بلفظ :

و .. فأحبهم إلى الله ، أتقهم لعياله .

ورواه الدبلي عن أنس رضي الله تعالى عنه ورفعه بلفظ :

والخلق كلهم عيال الله ، وتحت كنفه ، فأحب الخلق إلى الله ،

من أحسن إلى عياله .

من أحسن إلى عياله .

من أحسن إلى عياله .

والظلم

الظلم

تكرم الله تعالى لبي آدم

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا كُرْسِيَّ بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي
الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَنَزَّلْنَاهُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَأَنْزَلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ
مِمَّا نَسُوا حَتَّى تَحْتَفِئَ قَفْئِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا كُرْسِيَّ ﴾ تضعيف كرم ،
أي جعلنا لهم كرما ، أي : شرفنا وفضلنا . وهذا هو كرم نبي
التقصان لا كرم المال . وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على
هذه الهيئة ، في امتداد القامة ، وحسن الصورة ، وحملهم في
البر والبحر ، مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يتحمل
إيرادته وقصدته وتديره ، تخصصهم بما خصهم به من
المطاعم ، والمشارب ، والملابس . وهذا لا يتسع فيه حيوان
إتساع بني آدم ، لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ،
ويلبسون الثياب ، ويأكلون المركبات من الأطعمة وعناية كل
حيوان يأكل لحما نينا ، أو طعاما غير مركب .

قال المصموي : عند الإسراء سي جوار وشروع ، كان

لا كان المتضمن بأرزاق العباد ، والكافل بهم كان المطلق
كالعيال له . ونحوه حديث : « إن لله أهلين من الناس : أهل
القرآن وهم أهل الله » (١) وما أحسن قول أبي المتاهية :
عيال الله أكرمهم عليه أبتهم الكارم في عياله
ولم نر مثبا في ذي فعال عليه قط أفصح من فعاله
ولغيره :

المطلق كلهم عيال الله تحت ظلاله فأجهم طرا إليه أكرمهم لعياله
وللطبي الصغير وأجاد :
وخير عباد الله أنفعهم لهم رواه من الأصحاب كل فقيه
وإن إله العرش جل جلاله يعين النبي ما دام عون أخيه
وقال ابن حجر اللقي في الفتاوى الحديثية : حديث « المطلق
عيال الله ، وأجهم إليه ؛ أنفعهم لعيله » ورد من طرق كلها
ضعيفة . ولنظ بعضها : « المطلق كلهم عيال الله ، وتحت
كنفه فأحب المطلق إلى الله من أحسن لعيله ، وأبفض المطلق
إلى الله من ضيق على عياله » انتهى .

(١) رواه ابن ماجه [٢١٥] وصححه الألباني .

﴿ وَحَلَّتْهُمْ فِي آتِيرٍ ﴾ أي : على الدواب من الأنعام وأخيل
 والبعال وفي البحر أيضاً على السفن الكبار والصغار ﴿ وَوَضَعْتَهُمْ
 مِمَّا يَتَذَكَّرُ فِي آتِيرَاتٍ ﴾ أي : من زروع وثمار وحرم وأبان ، من
 سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة ، والناظر الحسنة ،
 والملايس الرفيعة ، من سائر الأنواع ، على اختلاف أصنافها
 وألوانها وأشكالها ، مما يصنعونه لأنفسهم ، ويحليه إليهم غيرهم
 من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿ وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا
 خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ أي : من سائر الحيوانات وأصناف الخلق .
 وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على
 جنس الملائكة . عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : « إن الملائكة قالت : يا ربنا ! أعطيت بني
 آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمك
 ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا
 فاجعل لنا الآخرة قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقت يدي
 كمن قلت له كن فكان » ^(١) رواه الحافظ الطبراني وأخرجه

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : [٢٦٥٧] رواه الطبراني =

وقال الطبري : يقول تعالى ذكره : ﴿ وَوَضَعْنَاكُمْ فِي آتِيرَاتٍ ﴾
 بتسليطنا إليهم على غيرهم من الملق ، وتسخيرنا سائر الملق
 لهم ﴿ وَحَلَّتْهُمْ فِي آتِيرٍ ﴾ على ظهور الدواب والراكب ﴿ وَرَفَعْنَا
 فِي السَّمَاءِ ﴾ في الفلك التي سخرنها لهم ﴿ وَوَضَعْنَا
 مِمَّا يَتَذَكَّرُ فِي آتِيرَاتٍ ﴾ المطاعم والشارب ، وهي حلالها ولذباتها
 ﴿ وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ من العمل
 بأيديهم ، وأخذ الأطمعة والأشربة بها ورفضها بها ، إلى أفواههم ،
 وذلك غير متيسر لغيرهم من الملق .

وفي مختصر تفسير ابن كثير للصائبي : يخبر تعالى عن
 تشریفه لبني آدم وتكريمه إليهم في خلقه لهم على أحسن
 الهيئات وأكملها كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
 تَقْوِيمٍ ﴾ [الشع : ٤] أي : يمشي قائماً مستصباً على رجله ،
 ويأكل يديه ، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ، ويأكل
 بجمه ، وجعل له سمماً وبعراً وفؤاداً ، يفقه بذلك كله ويتفجع
 به ، ويفرق بين الأشياء وخواصها ، ومضارها في الأمور الدينية
 والدنيوية .

مالك مرفوعاً .

- ٣ -

نعمة الله تعالى على الإنسان

يرى المؤمن بتوجيهه - كتاب الله تعالى له - آثار رحمة الله ونعمته في كل شيء حوله ، أما نعمة الله عليه في شخصه هو فما أعظمها وما أغزرها !

فأولها : نعمة الخلق : ولولا مشيئته وفضله لبقى في ظلمة المدم ولم يكن شيئاً مذكوراً : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُورًا ﴾ [إِنشأنا الإنسان من طَلْقَةٍ آمْسَاجٍ يَتَّبِعُهُ جَهَنَّمُ سِيمًا بَصِيرًا] ﴿ [الإنسان] .

وثانيها : نعمة الإنسانية : فقد شاء الله أن يخلقه بشراً سورياً ويستخلفه في الأرض ويفضله على كثير من خلقه ﴿ وَلَقَدْ

فِي الْكَبِيرِ ، وَالْأَرْسَطِ ، وَفِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ الْجَحْصِيِّ ، وَهُوَ كِتَابٌ مَتْرُوكٌ ، وَفِي سِنْدِ الْأَرْسَطِ : طَلْحَةُ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ كِتَابٌ أَيْضًا .

الظالم

١٠

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي آخِرِ الْأَجْحَرِ وَوَضَعْنَاهُمْ مِثْقَالَ الْحَبَّةِ وَوَضَعْنَا لَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ عَلَّمْنَا تَفْسِيرًا ﴿ [الإسراء : ٧٠] وَوَضَعْنَا ذَلِكَ حَسَنَ الصُّورَةِ الْحَسْبَى الْمَعْرُوبَةِ : ﴿ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿ [الفن : ٤٤] ﴿ وَوَضَعْنَا لَهُمْ صُورًا مَّوَكَّوَةً ﴿ [الفن : ٢٣] .
وثالثها : نعمة الإدراك والعلم : قال الله تعالى : ﴿ هَلْ آتَاكَ وَرَثَتُكَ الْيَتِيمَ ﴿ ﴿ الْأَيْ عَلَى الْيَتِيمِ مَا تَرَى يَتِيمَ ﴿ ﴿ [الملك] .
وقال سبحانه : ﴿ هَلْ وَدَّعْنَاكُمْ أَن تَبْطُلُوا بِمَاهِدِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿ [النمل : ٧٨] .
وهذه الثلاثة هي أدوات العلم ومداركه .

ورابعها : نعمة البيان المنطقي والخطي : قال تعالى : ﴿ هَلْ أَرْجَعُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴿ ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ ﴿ [البيآن] ﴿ [الرحمن] وقال سبحانه : ﴿ هَلْ أَلْمِزْتُكَ بِالْقَدْرِ ﴿ [الملك : ٤٤] .
وقال سبحانه : ﴿ هَلْ تَرَى وَالْقَدْرَ وَمَا يَنْظُرُونَ ﴿ [القلم : ١] .
وخامسها : نعمة الرزق : قال تعالى : ﴿ هَلْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ أَن كَرَّمْنَا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مَنَ مِنْ خَلْقِ عِبَادِ اللَّهِ يُرْوَدُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ

الظالم

١١

لَا يظلم المؤمن الظالم وَلَا يُعْلِمُهُ

روى البخاري [٢٣١٠] عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الظالم آخو المؤمن لا يظلمه ولا يعلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرح عن مسلم كرهه فرح الله عنه كرهه من كرات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » (١) .

قال الحافظ في الفتح : « المسلم أخو المسلم » هذه أخوة الإسلام ؛ فإن كل اتفاق بين شيئين يطلق بينهما اسم الأخرى ويشترك في ذلك الحر والعبد والبالغ والمميز .
وقوله : « لا يظلمه » هو خير بمعنى الأمر ؛ فإن ظلم المسلم للمسلم حرام وقوله : « لا يسلمه » أي : لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه ، بل ينصره ويدفع عنه ، وهذا أخص من
(١) وأخرجه مسلم [٥٨/٢٥٨٠] .

وَأَرْضُهَا [فاطر: ٢٤] وقال سبحانه : هو قل من يورثهم من آل السُّورِثِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ [سأ: ٢٢٤] .

وسأدها : - وهذا خاص بالمؤمن - نعمة الإيمان والهداية إلى صراط الله المستقيم : ﴿ وَأَقْلَمُوا أَن فِئْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ تَوَّابِعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعْنَةُ اللَّهِ جَبَّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَرَبَّنِي فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْوَعْثِيَّانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴾ ﴿ فَمَلَأَ مِنَ اللَّهِ رِغْصَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ [المجمرات] وقال سبحانه : ﴿ يَسْتَوُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَسْمَأُوا عَلَيَّ بِاسْمِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ بِكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [المجمرات: ١٧٧] .

وسأدها : نعمة الأخرى والنجاة : ﴿ وَأَذْكُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِيَعْتِيهِمْ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال سبحانه : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَا يَتُوبُونَ إِلَّا اللَّهُ أَلْفَ بَيْنِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢١٣] .

روي حديثين في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 أن الجازاة تقع من جنس الطاعات وأن من حلف أن فلانا أخوه
 وأراد أخوة الإسلام لم يحث .
 وقال المباركفوري في تحفة الأحوزي : وفي حديث ابن
 عمر : « من ستر مسلماً ، أي بدنه أو عيبه . يعلم الغيبة له
 والذنب عن معاتبه . وهذا بالنسبة إلى من ليس معروفاً بالفساد
 ولا فيستحب أن ترفع قصته إلى الراي ، فإذا رأى معصية
 فينكرها بحسب القدرة وإن عجز برفعها إلى الحاكم .

- ٥ -
 التيسير على المسلم

روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن أخيه كربة من
 كربة الدنيا نفس الله عنه كربة من كربة يوم القيامة ، ومن
 ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن يستر على مفسير

ترك الظلم ، وقد يكون ذلك واجباً ، وقد يكون مندوباً
 بحسب اختلاف الأحوال .

وزاد الطبراني من طريق أخرى عن سالم : « ولا يسلمه في
 معصية نزلت به » .

قوله : « ومن ستر مسلماً » أي : رآه على قبيح فلم يظهره ،
 أي للناس ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما
 بينه وبينه ، ويحصل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك . على
 ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينته عن قبيح فعله ثم جاهر به ،
 كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء . فلو توجه إلى
 الحاكم وأقر لم يمتنع ذلك ، والذي يظهر أن الاستر محله في
 معصية قد انتقضت ، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها
 فيجب الإنكار عليه والا رفعه إلى الحاكم وليس من الغيبة
 المحرمة بل من النصيحة الواجبة ، وفيه إشارة إلى ترك الغيبة لأن
 من أظهر مساوئ أخيه لم يستره .

وقوله : « ستره الله يوم القيامة » في حديث أبي هريرة عند
 الترمذي « ستره الله في الدنيا والآخرة » .

ومن ستر مسلماً أي : في قبح يفعله فلا يفضحه أو كساه
ثوباً و ستره الله ، أي عيوبه أو عورته .

وقال النووي في شرح قوله صلى الله عليه وسلم : « ومن
ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

الستر المندوب إليه هنا المراد به : الستر على ذوي الهيئات
وبحوصم عن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد ، فأما المعروف
بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل يرفع قضيته إلى ولي الأمر
إن لم يخف من ذلك مفسدة ؛ لأن الستر على هذا يطعمه في
الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله .
هذا كله في ستر ممصية وقعت وانقضت .

أما ممصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة
بإكثارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ، ولا يحل
تأخيرها . فإن عجز نزم رفعها إلى ولي الأمر إذا لم ترتب على
ذلك مفسدة .

« ومن يسر على معسر أي : سهل على فقير ، وهو يشمل
المؤمن والكافر أي من كان له دين على فقير فسهل عليه

يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان
العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ،
سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما تعد قوم في مسجد يملون
كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة
وعشيتهم الرحمة وحقتهم الملائكة ، ومن أطأ به عمله لم
يُسرع به نسيه » (١) .

قال المبارك خوري في تحفة الأحمدي : قوله : « من نفس » من
التفيس « عن أخيه كربة من كرب الدنيا » أي : أزالها وفرجها .
قال الطيبي : كأنه فتح مداخل الأنفاس ، فهو مأخوذ من
قولهم : أنت في نفس أي : سعة ، كأن كربة سد عنه مداخل
الأنفاس ، فإذا فرج عنه ؛ فتحت ، والمراد من أخيه : أخوة في الإيمان .
وفي رواية مسلم : « من نفس عن مؤمن نفس الله عنه كربة
من كرب يوم القيامة » لا كان الخلق كلهم عيال الله وتنفيس
الكرب إحسان فجزاه الله جزاءً وفاقاً لقوله تعالى : ﴿ هَلْ
جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ٩ الرحمن : ٦٠ .

(١) رواه مسلم [٣٨/٢٦٩٩] . والترمذي [٢٩٤٥] .

الظلم ظلمات

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة » (١) .
 وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم » (٢) .
 وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ،

(١) رواه البخاري [٢٣١٥] .
 (٢) رواه مسلم [٥٦/٢٥٧٨] .

بإمهال أو ترك بعضه أو كله « يسر الله عليه » بدل تيسيره على عبده مجازاة بجنسه .

« والله في عون العبد » الهراو الاستئناف وهو تدليل للكلام السابق .

« ما كان العبد » أي : ما دام « في عون أخيه » أي : في قضاء حاجته .

وقال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير : « من ستر أخاه المسلم في الدنيا » في قبيح فعله وقوله « فلم يفضحه » بأن اطلع منه على ما يشينه في دينه أو عرضه أو ماله أو أهله فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحديث « ستره الله يوم القيامة » أي : لم يفضحه على رءوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه بل يسهل حسابه ويترك عقابه ؟ لأن الله حيي كريم . وستر العورة من الحياء والكرم .

ودعى عثمان إلى قوم على رية فانطلق ليأخذهم ففرقوا فلم يدر كههم فأعقق رية شكراً لله تعالى أن لا يكون جرى على يديه خزي مسلم .

وفي رواية : « اني حرمت على نفسي الظلم ، وعلى عبادي فلا تظالموا » .

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قلنا : يا رسول الله نصرته مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : تكفه عن الظلم فذاك نصرتك إياه » (١) .
وعن قيس قال : قال أبو بكر ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه :
« يا أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية ، وتضعونها على غير موضعها ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ لَكُمْ ﴾ لا يضركم من صلَّ إذا اقتديتم ﴾ [البقرة: ١٠٥] » .

وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بهقاب » ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« ما من قوم يعمل فيهم بالمأصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بهقاب » (٢) .

(١) رواه الترمذي [٢٢٥٥] وقال الألباني : صحيح .
(٢) روى أبو داود [٤٢٣٨] وصححه الألباني .

فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتغفروني ، يا عبادي لو أن أولاكم وآبائكم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولاكم وآبائكم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولاكم وآبائكم وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (١) .

قال سعيد : كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جئا على ركبته .

(١) رواه مسلم [٥٥/٢٥٧٧] .

عن ثابت أو عن أبي ثابت رضي الله تعالى عنه أن رجلا دخل مسجد دمشق فقال : اللهم آس وحشي ، وارحم غريبي وارزقي جليسا صالحا . فسمعه أبو المرءة فقال : لئن كنت صادقا ، لأنا أسعد بما قلت منك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ قَيْنْتُمْ ظَالِمَ لِنَفْسِهِ ﴾ [فاطر : ٢٢] يعني الظالم يؤخذ منه في مقامه ذلك فذلك لهم والخرن ﴿ وَيَتَمَمُّ مَقْتَصِدٌ ﴾ قال : ﴿ يَكْتَسِبُ جَسَابًا يَمِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٢٨] ﴿ وَيَمْنَهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ﴾ قال : الذين يدخلون الجنة بغير حساب (١) .

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال : أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع ؛ « أمرنا باتباع الجنائز ، وعبادة المريض ، واجابة المداعي ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم ، وورد السلام ، وتشميت العطس ، ونهانا عن آنية الفضة ، وخاتم الذهب ، والحزير ، والديباج ، والقسي ، والإستبرق » (٢) .

(١) رواه أحمد في المسند [١٩٤/٥] وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف .
(٢) روى البخاري [١١٨٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا رأيتم أمي تهاب الظالم ، أن تقول له : إنك أنت ظالم ، فقد تودع منهم » (١) .
عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة ؟ فقال : « لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة ، أعتق النسمة وفك الرقية » ، فقال : يا رسول الله أو ليست بواحدة ؟ قال : « لا .. إن عتق النسمة أن تفرد بعقبتها ، وفك الرقية أن تعين في عقبتها ، واللمحة الكوفة والنفي على ذي الرحم الظالم ، فإن لم تطلق ذلك ، فأطعم الجائع واسق الضمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فإن لم تطلق ذلك ، فكف لسانك إلا من الخير » (٢) .

(١) رواه أحمد في المسند [١٦٣/٢] وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، رجاله ثقات رجال الصحيح ، إلا أن أبا الزبير وهو محمد بن مسلم بن تدرس لم يسمع من عبد الله بن عمر فيما قاله أبو حاتم في المراسيل [ص : ١٥٤] .
(٢) رواه أحمد في المسند [٢٩٩/٤] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

الصرية ، ورب الغنيمة ، إن تهلك ماشيتهما يأتي بيته ،
 فيقول : يا أمير المؤمنين أفتأركهم أنا لا أبا لك ؟ فإلّاء والكلأ
 أيسر عليّ من الذهب والورق ، وأتم الله إنهم ليرون أني قد
 ظلمتهم ؛ إنها لبلاذهم فقاتلوا عليها في الجاهلية ، وأسلموا
 عليها في الإسلام ، والذي نفسي بيده لو لا المال الذي أحمل
 عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلاذهم شيئا ^(١) .
 وعن عبد الله بن سرجس رضى الله تعالى عنه قال : « كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر يتعوذ من وضاء السفر
 وكتابة المقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في
 الأهل والمال ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن ؛ دعوة
 الولد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم ^(٣) .

(١) رواه البخاري [٢٨٩٤] .
 (٢) رواه البخاري [٢٣٤٣] .
 (٣) رواه أبو حنود [١٥٣٦] وحسنه الألباني .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعاذ بن جبل حين بعته إلى اليمن :
 « إنك ستأتي قوما أهل كتاب ، فإذا جنتهم ، فادعهم إلى أن
 يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإن هم
 أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس
 صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك
 فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد
 على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم
 واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب ^(١) .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه رضى الله تعالى عنهما أن عمر
 بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، استعمل مولى له يدعى هنيا
 على الحمصي ، فقال : « يا هني اضمم جناحك عن المسلمين ،
 واتق دعوة المظلوم ، فإن دعوة المظلوم مستجابة ، وأدخل رب
 الصريرة ورب الغنيمة ، وراي ونعم بن عوف ، ونعم بن عفان ،
 فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإن رب

(١) رواه البخاري [١٤٢٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن آدم اصلك كائناك ترى ، وعدُّ نفسك مع الموتى ، وإياك ودعوة المظلوم ^(١) .
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان ناجرا فنجوره على نفسه » ^(٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا دعوة المظلوم ، وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب » ^(٣) .

وعن أبي الشماخ الأزدي عن ابن عم له من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى معاوية فدخل عليه وقال : (١) رواه أحمد في المسند [٣٤٣/٢] وقال الأرنؤوط : حديث قابل للتخمين ؛ وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أحمد في المسند [٣١٧/٢] وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

(٣) رواه أحمد في المسند [١٥٣/٢] وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

الظالم ٢٧

عنه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم ؛ الإمام العادل ، والصائم حين يقطر ، ودعوة المظلوم يرفعها فوق السحاب وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب عز وجل : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » ^(١) .

وعن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بناس من الأنصار وهم جلوس في الطريق فقال : « إن كنتم لا بد فاعلن فردوا السلام ، وأعينوا المظلوم ، واهدوا السبيل » ^(٢) .

وعن عبد الله بن سرجس رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : « اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر ، وكآبة المنقلب ، اللهم اصحبنا في سفرتنا واحفظنا في أهلنا ، ومن الحور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، ومن سوء المنظر في الأهل والمال » ^(٣) .

(١) رواه الترمذي [٢٥٢٦] وصححه الألباني .

(٢) رواه الترمذي [٢٧٢٦] وقال الألباني : صحيح المتن .

(٣) رواه الترمذي [٣٤٣٩] وصححه الألباني .

الظالم ٢٦

إِيْتَنَّهُمْ بِظُلْمٍ ﴿ [الأنعام: ٨٢] قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إينا لم يظلم؟ فأقول الله: ﴿ إِنَّكَ الْفِتْرُكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] (١).

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: لا نزلت ﴿ آيَاتِنَ مَا مَنَعْنَا وَكَرَّهْتُمْ يَكْتُمُوا ﴾ فقلنا: يا رسول الله إينا لا يظلم نفسه؟ قال: لا ليس كما تقولون: ﴿ وَكَرَّهْتُمْ يَكْتُمُوا ﴾ إِيْتَنَّهُمْ بِظُلْمٍ ﴿ بشرى، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿ هَيِّئْ لِي لَا تَجْرِكَ بِإِلَهِ بِاللَّهِ إِنَّكَ الْفِتْرُكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال: لا نزلت: ﴿ آيَاتِنَ مَا مَنَعْنَا وَكَرَّهْتُمْ يَكْتُمُوا ﴾ بِظُلْمٍ ﴿ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أيسر مؤر كما تقولون. إنا مؤر كما قال لقمان لابنه: ﴿ هَيِّئْ لِي لَا تَجْرِكَ بِإِلَهِ بِاللَّهِ إِنَّكَ الْفِتْرُكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

(١) رواه البخاري [٣٢] ومسلم [١٩٧١/٢٤].

(٢) رواه البخاري [٣١٨١].

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من ولي من أمر الناس، ثم أغلق بابهم دون المسكين، أو المظلوم، أو ذي الحاجة، أغلق الله عز وجل دونه أبواب رحمة عند حاجته وفقره، أفقر ما يكون إليها » (١).

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم جلوس في الطريق، قال: « إن كنتم لا بد فاعلين، فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغثوا المظلوم. قال عفان: « وأغثوا » (٢).

- ٧ -

أعظم الظلم

عن عبد الله قال: لا نزلت ﴿ آيَاتِنَ مَا مَنَعْنَا وَكَرَّهْتُمْ يَكْتُمُوا ﴾

(١) رواه أحمد في المسند [٤٨٠/٣] وقال الأناطوط: صحيح لغيره.

(٢) رواه أحمد في المسند [٢٩١/٤] وقال الأناطوط: حديث صحيح رجاله ثقات وقدم من رواية الترمذي [ص: ٢٦].

ليس الظالم على إطلاقه وضومه كما ظنتم ، إنما هو الشرك كما قال لقمان لابنه ، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم حملوا الظلم على صومه ، والتبادر إلى الأفهام منه ، وهو : وضع الشيء في غير موضعه ، وهو مخالفة الشريعة ، فشق عليهم ، إلى أن أعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبراد بهذا الظلم . قال الخطابي : إنما شق عليهم لأن ظاهر الظلم الاقتيات بحقوق الناس ، وما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصي ، فظنوا أن المراد منه الظاهر وأصل الظلم : وضع الشيء في غير موضعه . ومن جعل العبادة لغير الله تعالى ؛ فهو أظلم الظالمين . وفي هذا الحديث جمل من العلم منها : أن المعاصي لا تكون كفرا . والله أعلم .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١) .
قال ابن الجوزي : الظلم يشتمل على معصيتين : أخذ مال

(١) أخرجه البخاري [٢٢١٥] ومسلم [٥٧٧/٢٥٧٩] .

الظلم

تعالى عنه : لا نزلت : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرِهَ اللَّهُ مَا كَسَبُوا إِيْمَانَهُمْ يُظَلُّوهُ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس هو كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿يَبْتَغِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الْبُتْرُوكَ لَأَكْبَرُ عَظِيمٌ﴾ هكذا وقع الحديث في صحيح مسلم (١) ووقع في صحيح البخاري : لا نزلت الآية قال أصحاب رسول الله ﷺ : أينا لم يظلم نفسه ؟ فأقول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ الْبُتْرُوكَ لَأَكْبَرُ عَظِيمٌ﴾ (٢) فهاتان الروايتان إحداهما تبين الأخرى ، فيكون : لا شق عليهم أنزل الله تعالى : ﴿إِنَّكَ الْبُتْرُوكَ لَأَكْبَرُ عَظِيمٌ﴾ .

وقال النووي : أعلم النبي ﷺ أن الظلم المطلق هناك المراد ملا المقيد وهو الشرك ، فقال لهم النبي ﷺ بعد ذلك :

عنه مسلم [١٩٧/١٢٤] .

عنه البخاري [٣٢٢] .

الظلم

ومن آتس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول : ١٠
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصروا ظالماً أو
 مظلوماً . فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً .
 أنزلت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحججه عن
 الظلم فإن ذلك نصره » (١)
 وفي رواية : « تأخذ فوق يديه » (٢)

- ٨ -

هـ

وهذا الكتاب قد حوى بين دفتيه بعض خواطر فضيلة الشيخ
 الإمام محمد متولى الشعراوى عن الظلم والظالمين .. قمنا
 بإعداد مادته ، والتعليق عليه ، وشرحه ، ونخريج أحاديثه ،

- (١) أخرجه البخارى [٦٥٥٢] ، ومسلم [٦٢/٢٥٨٤] بنحوه .
 وتقدم من رواية الترمذى [ص: ٢١] .
 (٢) أخرجه البخارى [٢٣١٢] .

الظلم

الغير يعتبر حق ، ومبارزة الرب بالخالفه . والمصيبة فيه أشد من
 غيرها لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار ،
 وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب ، لأنه لو استنار نور الهدى
 لا اعتبر ، فإذا سمى المتقون بتورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى
 اكتفت ظلمات الظلم أظالم حيث لا يعني عنه ظلمه شيئا .
 وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله
 ﷺ قال : « المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يُعْلَمُه » (١)
 قال الحافظ : قوله : « لا يظلمه » هو خير بمعنى الأمر فإن
 ظلم المسلم للمسلم حرام . وقوله : « ولا يسلمه » أي لا
 يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه ،
 وهذا أخص من ترك الظلم ، وقد يكون ذلك واجبا وقد يكون
 مندوبا بحسب اختلاف الأحوال . وزاد الطبراني من طريق
 أخرى عن سالم : « ولا يسلمه في مصيبة نزلت به » .
 وسلم في حديث أبي هريرة : « ولا يحقره » وهو بالمهمله والقاف
 وفيه : « بحسب امرئ من الشر ؛ أن يحقر أخاه المسلم » (٢)

- (١) أخرجه البخارى [٢٣١٠] ومسلم [٥٨/٢٥٨٠] .
 (٢) جزء من حديث أخرجه مسلم [٣٢٧/٢٥٦٤] .

الظلم

ولإضافة بعض ما يلزم من جنس مادته من تأليف علماء آخرين
أعدت بعناية ، وتخرجت أحاديثها ، وتم التعليق عليها ؛ ليتم
النفع به .

نسأل الله تعالى أن ينفع به قارئه و كاتبه وناشره ، ويجزى
عنا فضيلة الشيخ الإمام خير الجراء ، وينور له في قبره ، ويوقع
في المهلين درجته ، وأن يجعله مع النبيين والصدوقين
والشهداء ، إنه سبحانه سميع قريب مجيب .
وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .
والحمد لله رب العالمين .

جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ
أبسطى ٢٠٠١ م
عبد الله حجاج

الظلم والظالمون

لفضيلة الشيخ الإمام

محمد متولى النمرأوى

إعداد ودراسة وتحقيق

مركز التراث خدمة الكتاب والسنة

الظلم

قال فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد أذن الغيبي التي استقبلت آخر إرسال السماء لهدى الأرض ، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق مراده من الخلق ، وعلى آله وصحبه دعاة الحق وسادة الخلق وبعد .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ آفَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [نور: ١٣] .
يجزي القوم المشجعين ﴿ فإياكم أن تسؤل لكم أنفسكم أن تظلموا بعدوانكم على محمد ﷺ ؛ لأنكم لن تالوا منه شيئاً ، ويستم الله نوره ، فليستم بدءاً من سابق الخلق .

﴿ الْقُرُونِ ﴾ جمع قرن ، والقرن من المقارنة ، وكل جماعة اقتروا في شيء نسيهم قرناً ، وقد يكون القرن في الزمنية ، ولذلك حسبوا القرن مائة سنة ، والبشر الذين يجتسمون في مائة سنة يسمونهم قرناً .

والمآل قبل أن يخلقه الله سبحانه وتعالى كانت هيئته مقدره
أولاً عنده سبحانه ، وهذا هو مطلق القدرة من الحق تعالى ،

ويأتى واقع الكون على وفق ما قدره الخالق سبحانه أولاً ، حتى
ولر كان هناك اختيار للمخلوق الكافر فالله سبحانه يعلمه .
والاختيارية ،
وقد صحح أن القلم جف حتى فى الأمور الاختيارية ،
وسبحانه يعلم ما تجرى به الأمور القهريه وما يقضيه على خلقه
بدون اختيار منهم ، أما فى الأمور الاختيارية فقد أعطى خلقه
الاختيار ، وقد علم ما سوف يفعلونه غيباً ، فمصم المسأله على

وفق ما علم .

وإياك أن تظن أنه أراد بذلك أن يلزمك ، لا .. فقد علم
أنك ستختار ، وهكذا علم الحق سبحانه من سيظلم نفسه -
أولاً - وستق فى علمه أن أهل القرون السابقيه الذين أهلكهم

لا يؤمنون .

هو ولقد آفكنا القرون من قبلكم لنا ظالموا والظلم
معناه : نقل الحق من صاحبه إلى غيره . والحق الموهوبه من
الخالق للبشر قد يظلم فيها بعضهم البعض ، لكن أعلى

الظلم

٣٩

أو القرن جماعة يقتربون فى شيء يجمعهم ، مهما طال بهم
الأمه .

وقول الحق : هو ولقد آفكنا القرون من قبلكم لنا ظالموا
ويهلهم ومهلهم بالبيت وما كانوا يؤمنوا فهل لو أمهلهم
الله تعالى كانوا سيؤمنون ؟ لا ، فالله علم أزلى ، يعلم الأشياء
على وفق ما تكون عليه اضطراراً أو اختياراً .

والمثل من حياتنا وأعرافنا - والله المثل الأعلى - أننا نجد
الإنسان حين يريد بناء بيت . فالأمر يختلف حسب مقدرته ؛
فالفقير مثلاً يطلب بناء حجرتين ، فيخطط حسب البناء
حجرتين ، وإذا كان الإنسان متوسط الحال فهو يتجه إلى
مهندس يصمم له بناء على قدر سمته ، وإن كان الإنسان
ثرياً فهو يستعنى المهندس الذى يبنى له بيتاً حسب إمكاناته
ورغباته ويصمم المهندس نموذجاً للبناء قبل أن يبدأ فيه ،
وتظهر فيه كل التفاصيل حتى ألوان النوافذ والأبواب
والحجرات :

الظلم

٣٨

وَلَقَدْ أَفْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ بَيْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجْهَهُمْ
 رَبَّهُمْ بِالْبَيْتِ الْوَالِقِ سِجَانَهُ هُوَ الْعَالَمُ الْأَعْلَى الَّذِي
 يَهْلُمُ الْأَشْيَاءَ عَلَى وَفْقٍ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ لَا عَلَى وَفْقٍ مَا يَقْهَرُ
 خَلْقَهُ عَلَيْهِ ، فَلَوْ كَانَ عِلْمُهُ سِجَانَهُ عَلَى وَفْقٍ مَا يَقْهَرُ الْخَلْقَ
 عَلَيْهِ لَكَانَتْ الْمَسْأَلَةُ مَسْتَهْبِئَةً .

والغالب - والله المثل الأعلى - أنت في البيت وتزبد أن تقوم
 مع زوجتك برحلة ، فإن كان الأولاد صغارا ، فأنت تتلقى
 عليهم الباب بعد أن تقول لهم : إن طعامكم في الثلاثة ؛ لحم
 وسمك وحبين وزيتون . وبعد أن تخرج أنت وزوجك تقول
 لها : إن أبنائنا لن يأكلوا إلا جينا وزيتونا ؛ لأنهم سوف
 يستسهلون هذا الطعام . ولو لم يكن في الثلاثة إلا الجبن لا
 قلت ذلك ؛ لأن هذا هو لون الطعام القهري .

لكن ما دام في الأمر اختيار ؛ فأنت تستشف من سابق
 سلوك الأبناء . وعندما ترجع تجد أبنائك قد تصرفوا وفق ما
 حكمت به ، برغم أنك تركت لهم الاختيار . ومثال هذا في

الظلم

درجات الظلم ؛ الشرك قال تعالى : ﴿ هِيَ آيَةُ الشِّرْكِ أَظْلَمُ
 عَظِيمٌ ﴾ [نجم : ١٣] فحين يظلم أحد نفسه فيجعل مع الله
 لها آخر ؛ فذلك هي قمة الظلم ؛ لذلك قال سبحانه : ﴿ هِيَ آيَةُ
 الشِّرْكِ أَظْلَمُ عَظِيمٌ ﴾ .

وهم قد ظلموا في قضية العقيدة الأولى ، أو ظلموا في
 الحقوق بينهم وبين أنفسهم ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ
 مِنَ الَّذِينَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٤] .

والواحد منهم ظالم ومظلوم في آن واحد ؛ لأن الإنسان
 ملكاته متعددة ، ومن هذه الملكات ملكة الإيمان الفطري ،
 وملكة النفع الماجل الذاتي . فإذا تغلبت ملكة النفع الماجل
 تخرج النفس اللوامة ؛ لتعيد الأمر إلى صوابه ، أما إن كانت
 نفسا تأمر بالسوء فهي تطلب تحقيق الشهوات فقط ؛ لأنها
 نفس أماراة بالسوء ، أما إن اطمأنت النفس إلى حكم الله
 تعالى ، ورضيت به ورفذت ما قاله الله سبحانه فهي نفس
 مطمئنة . ومن يظلم نفسه فهو الذي يتبع شهوات نفسه ، وهو
 قد أعطاهها ممتعة عاجلة ليستقبل بعد ذلك شقاء آجلا ؛ فيكون
 قد ظلم نفسه .

الظلم

إن الله لا يظلم مقال ذرة

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ذَاكَ يُكَا فَيَكْتُمُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ

يُظْلِمُ لَاحِرَةً يُفْتِيهِمْ ﴾ [آل عمران : ٢٨٢] .

كلمة : « ظلام » صيغة مبالغة في الظلم ، مثلما تقول : فلان « آكل » وفلان « آغال » أى : كثير الأكل ، مبالغ في تناول الطعام ، وتقول فلان « ناجر » أى : أمسك قطعة الخشب بدون خبرة وصنع منها شيئاً ، ولكنك إذا قلت : « نجار » فهذه صيغة مبالغة في أن هذه صنعه ، كذلك : « خياط » و« خياط » وتقول : فلان « جازر » أى : يستطيع أن يذبح ، فإذا قلت : « جزار » أى : أن عمله هو أن يذبح . إذن .. « فقال » صيغة مبالغة في الفعل . وصيغ المبالغة لها حالتان : حالة إثبات .. وحالة نفي ؛ فأنت حين تقول : فلان « آغال » أثبت له صفة المبالغة في الأكل ومن باب أولى صفة أنه يأكل ، ومادمت قد أثبت له الصفة الأعلى فتكون الصفة الأدنى ثابتة بالقطع . فإذا قلت : إن فلاناً « خياط » أثبت له

القرآن قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

وَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَفْلَحَ مَنَّهُ مَا كَفَّ أَيْدِيَهُمْ سَكِينًا

تَارِكًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ ﴾ [السد : ٢] .

وفى هذا حكم من الله تعالى بأن أبا لهب سيموت كافرًا مثل غيره من الكفار . وقد آمن من الكفار الكثير . ألم يسلم عمر ؟ ألم يسلم عكرمة بن أبي جهل ؟ ألم يسلم عمرو بن العاص ؟ ألم يسلم خالد بن الوليد ؟ فما المانع أن يسلم أبو لهب هو الآخر ؟ لا .. لم يسلم ، وعلم رسول الله ﷺ من ربه أن ذلك لن يكون منه . وما كان من الممكن أن يكرر أبو لهب ويعلم إسلامه تكديماً للقرآن ؛ لأن الحق علم أرواح سلوك أئمة لهب .

﴿ وَكَفَدَ أَفْئِدَتَنَا الَّذِينَ رَدُّوا مِن قَبْلِكُمْ لَنَا ظَلَمًا وَسَجَنًا وَمُنْجَمًا ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] . وقوله : ﴿ كَذَلِكَ تَجْرِي أَلْسِنَتُهُمْ لِيُخَيَّرُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَأَن يُخَيَّرُوا مِنَ الْقُرْآنِ لِيُظْهِرُوا أَنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] . فالتقصية كان للأمم السابقة التي أهلكت في القرون الماضية تجرى والجراء من يحدد كل شيء ؛ لأن القضايا في الكون واحدة . فالقضية الإيمانية موجودة من أول ما أرسلت الرسل إلى أن تنتهى الدنيا .

والأعلى ، وهذا في رأيهم تضارب . تقول : هل إذا نفى الأعلى يلزم أن يثبت الأدنى ؟ طبعاً لا .. إن نفى الأعلى لا يمنع أن يوجد الأدنى ، وإنما لا يلزم بوجوده .

إذن .. فتقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يُظَلِّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] نعت مبهاً للظلم ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ وَإِنَّ اللَّهَ لَكَيْسٌ يُظَلِّمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [آل عمران : ١٨٢] نعت مبهاً للمبالغة ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً . فإذا قيل : إن الله نفى الأعلى وهذا إثبات للأدنى ! تقول : نفى الأعلى لا يلزم منه إثبات الأدنى ، وإنما لا يمنع من وجود الأدنى ، فإذا جاءت آية أخرى ونفت الأدنى . إذن .. فلا هو « بظلام » ولا هو « بظالم » على أننا لا بد أن نلتمس إلى الإعجاز القرآني في الأسلوب ، فالتكلم هو الله .. تقول : هل قال الحق سبحانه وتعالى : ليس بظلام للمبهد ؟ أم ليس بظلام للمبهد .. لقد قال الحق : ﴿ هُوَ وَإِنَّ اللَّهَ لَكَيْسٌ يُظَلِّمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ لا بد أن ننبه هنا إلى صيغة المبالغة ، لو أنك قلت : إن فلاناً أكال . بالفت في أنه يأكل ، ولكن لم تذكر لنا الكيفية ، قد يكون « أكالاً »

الظلم

أنه يعرف الحياطة ، ولذا قلت : إنه « نجار » أثبت له أنه « ناجر » .

أما من ناحية النفي فإذا قلت إن فلاناً ليس « أكالاً » فهذه تنفي المبالغة ، ولكنها لا تنفي أنه يأكل ، وإذا قلت : إن فلاناً ليس « نجاراً » نفيت عنه إتقانه للنجارة ، ولكنها لا تنفي عنه أنه قد يكون « نجاراً » وإذا قلت : إن فلاناً ليس « علاناً » فقد يكون « علاناً » ؛ فأنت عندما تثبت الأعلى تثبت الأدنى ، وعندما تنفي الأعلى لا تنفي الأدنى . وعندما تقول : إن فلاناً ليس « ظلاماً » . تكون قد نفيت الأعلى ، ولكن لا يلزم نفى الأدنى ، فقد يكون « ظلاماً » فقط وليس « ظلاماً » .

إذن .. فقولنا : ليس « ظلاماً » نعت المبالغة فقط ، ولكنها لم تنف الظلم .

ومن عجيب أن المستشرقين قالوا : إن آيات القرآن تناقض بعضها بعضاً ، ففي آية مثلاً يقول سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ كَيْسٌ يُظَلِّمُوا ﴾ [آل عمران : ١٨٢] فنفي الأعلى ولا يلزم مع نفى الأعلى نفى الأدنى ، ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى : ﴿ هُوَ إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يُظَلِّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] فنفي الأدنى

الظلم

ولذلك أراد الله سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة أن يخبرنا أنه لا يظلم أحداً ولو مثقال ذرة . إذن .. فهو ليس بظلام للعبيد ؛ لأنه لو ظلم كل عبد من عباده ذرة لكانت كمية الظلم هائلة لكثرة العباد ، ولكن حتى هذه الذرة من الظلم لا تحدث من الله سبحانه وتعالى ، لأن ﴿ اللهُ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

○○○

كان يأكل خمسة أرغفة في الوجبة الواحدة ، وقد يكون وأكثراً ، في أنه يتناول كمية معقولة من الطعام ، ولكنه يأكل عشر مرات في اليوم ، أي : أنه كل ساعة أو ساعتين يطلب الطعام ولكن وجبته عادية ، فالبالغة مرة تكون في قوة الحدوث - وإن لم يتكرر - ومرة تكون في المبالغة في تكرار الحدوث .. والإنسان حين يظلم ظلماً بيناً مبالغاً فيه يقال عنه : « ظلام » لأنه بالغ في الظلم ، فإذا لم يبالغ في الظلم وكان ظلماً بسيطاً ولكنه شمل عدداً كبيراً من الناس يكون ظلاماً نظراً لتعدد المظلومين .

وما دام الحق سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ، ولم يقل : « ليس بظلام للعبيد » وبما أن الظلم يتناسب مع القدرة ، فقدرة الحاكم على الظلم أكبر من قدرة محدود النفوذ ، وقدرة محدود النفوذ أكبر من قدرة الشخص العادي ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى مع كل واحد من عباده ظالماً - حاشاه - ولو مثقال ذرة لتقبل : « ظلام »

الرسول ﷺ مُتْرَةٌ عن الظالم

كان الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه ، وهو من العشرة
المبشرين بالجنة ، وابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اختلف مع أحد الأنصار في مسعى أرض لهما في الحزّة - وهي
مكان بالقرب من المدينة أرضها ملساء فيها حجارة سوداء -
فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير :
« استق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك » ولم يكن من المنقول
أن يظلم رسول الله ابن عمته حتى لا يقول أحد إنه حكم لابن
عمته . إن رسول الله ﷺ مترة عن أن يحكم بالظلم ليشتهر
بالمعدل كما يفعل بعض الناس ليطلبوا الشهرة ، ومثل هذا
النوع من الناس إن اختلف ابن لهم مع واحد من الناس فإنه
يحكم للغريب ولا يحكم لابنه ، ويقول مثل هذا النوع من
الناس : لا تحكم بالظلم ليشتهر بين الناس بالمعدل ، فهناك
شجاعة يجب أن تمتلكها ، وهي شجاعة الحكم بالمعدل ؛ إن

الشجاعة تقتضى أن تحكم بالحق ولو كان لنفسك ، ولكن
عندما حكم رسول الله ﷺ لابن عمته الزبير ؛ لم يجب ذلك
الأنصارى ، فقال لرسول الله ﷺ : أن كان ابن عمك
العرب منهم من يقول الكلمة ويترك للباقي السامع أن يفهم
الباقى ، فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال : « يا زبير استق ثم
احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر » وكثير من الناس الذين يحبون
التصيد للإسلام يقولون : لقد حكم رسول الله ﷺ أولاً لابن عمته
ليروى ثم عدل الحكم ليروى الأنصارى .

هؤلاء لم يفهموا أن أرض الزبير كانت في المكان العالى
وأرض حاطب في المكان المنخفض ، ونحن إذا نظرنا إلى
مكان الحصب فتحن نجده في بطن الوادى وليس في
السفح ؛ لأن الماء رغم أنه يتكون في العالى إلا أنه يتسرب إلى
المكان المنخفض ، لذلك فعندما نروى الأرض المنخفضة أولاً ؛
فتنى هذا ظلم للأرض العالية (١) ، ولذلك فالحكم الأول كان

(١) وذلك ما ذهب إليه الإمام البخارى من ترجمته للمحدث
[٣١٢/٥٧ فتح] حيث قال : باب شرب الأعلى قبل الأسفل .

على الماء أن يحبس الماء في الأرض إلى هذا الحد ثم يرسله إلى

جواره الذي وراعه ، وكان الزبير صاحب الأرض الأولى فأدل عليه رسول الله ﷺ وقال : « استق ثم أرسل الماء إلى جارك أي : استق شيئاً يسيراً دون قدر حقلك ، ثم أرسله إلى جارك أدلألا على الزبير ، ولعلمه أنه يرضى بذلك ، ويؤثر الإحسان إلى جواره ، فلما قال الجار ما قال : أمره أن يأخذ جميع حقه ، وقد سبق شرح هذا الحديث وازمناً في بابهِ ، قال العلماء : ولو صدر مثل هذا الكلام الذي تكلم به الأنصارى اليوم من إنسان من نسبه ﷺ إلى هوى كان كفرةً ، وحرت على قائله أحكام المرتدين ، فيجب قتله بشرطه ، قالوا : وإنما تركه النبي ﷺ لأنه كان في أول الإسلام يتألف الناس ، ويدفع بالتي هي أحسن ، ويصبر على أذى المناقذين ومن في قلبه مرض ، ويقول : « يمشروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » ويقول : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . وقد قال الله : **هُوَ لَا يُؤْتِيكَ مَالَهُمْ إِلَّا يَدِيْلَهُمْ فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُخْسِرِينَ** [اللطمة : ١٣] .

مبتأياً على التيسير والفضل من الزبير ، أما الحكم الآخر فهو مبنى على المعدل (١) .

(١) الحديث أخرجه البخاري [٢٢٥٩ - فتح] ، ومسلم [١٢٥٧/٢٢٥٩] وأبو داود [٣٣٦١] ، والترمذي [١٣٦٣] عن عبد الله بن الزبير رضی الله تعالی عنهما .
قال النووي : قوله ﷺ : « استق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فنفض الأنصارى فقال : يا رسول الله أن كان ابن عمك ؟ فقلون وجه نبي الله ﷺ ثم قال : يا زبير استق ثم استبس الماء حتى يرجع إلى الجدر » أما قوله : « أن كان ابن عمك ؟ فهو يفتح الهمزة أي : فعلت هذا لكونه ابن عمك ، وقوله : « تلذذ وجهه » أي تغير من النفض ؛ لانتهاك حرمة النبوة ، وفتح كلام هذا الإنسان ، وأما « الجدر » فيفتح الجيم وكسرهما ، وبالمدال المهملة وهو الجدار ، وجمع الجدار جدر ، ككتاب وكعب ، وجمع الجدر جدرور ، كفسس وفلوس ، ومعنى « يرجع إلى الجدر » أي يصير إليه ، والمداد بالجدر : أصل الحائط ، وقيل : أصول الشجر ، والصحيح الأول ، وقدره العلماء أن يرتفع الماء في الأرض كلها حتى يتل كعب رجل الإنسان ، فالصاحب الأرض الأولى التي

ظلم النفس

ظلم النفس يكون بأن يحقق لها الإنسان شهوة عاجلة ليورثها شقاء دائماً ؛ وبذلك يكون الإنسان في وضع غريب هو أنه لم يحقق لنفسه شهوة ؛ لأنه أورث نفسه شقاء دائماً بشهوة عاجلة . وظلم النفس أشقى أنواع الظلم ، وهل يوجد عاقل يحصى الله بترك أوامره ويقبل على أمر منهى عنه ؟ إن العاقل لا يفعل ذلك ؛ لأنه يعرف أن ظاهر الأمر هو تحقيق شهوة ، ولكن باطن الأمر هو غرق في الشقاء ، فالأمر بالصلاة إن كسل عنه الإنسان ونام فهو في ظاهر الأمر حقق متعة النوم لنفسه ، لكنه أورثها انزعالاً عن الله ، والأمر بعدم شرب الخمر إن لم يفعله الإنسان وشرب فقد يظن أنه حقق لنفسه متعة ، وحقيقة الأمر أنه ظلم نفسه ؛ لأنه أورثها شقاء عظيماً ، والإنسان بظلمه لنفسه يكون غير أمين عليها . والظلم يقتضى ظالماً ومظلوماً ، فكيف يكون حال من ارتكب الظلم مع نفسه ؟ من الظالم ؟ ومن المظلوم ؟

= قال القاضي : وحكى الداودي أن هذا الرجل الذي خاصم الزبير كان منافقاً .

وقوله في الحديث : أنه أنصاري لا يخالف هذا ؛ لأنه كان من قبيلتهم لا من الأنصار المسلمين .

وأما قوله في آخر الحديث : « فقال الزبير : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت فيهِ ؛ فلا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » [النساء: ٦٥] فهكذا قالت طائفة في سبب نزولها .

وقيل : نزلت في رجلين تحاكما إلى النبي ﷺ فحكم على أحدهما . فقال : ارفعني إلى عمر بن الخطاب .

وقيل : في يهودى ومنافق اختصما إلى النبي ﷺ فلم يرض المنافق بحكمه ، وطلب الحكم عند الكاهن .

قال ابن جرير : يجوز أنها نزلت في الجميع . والله تعالى أعلم .

قوله ﷺ : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » هذا الحديث سبق شرحه ووضحاً في كتاب الحج ، وهو من قواعد الإسلام .

نفسه ؛ لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : **هُوَ وَكَوَّأَتُهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ** [النساء : ٢٤] وهناك فارق بين أن يأتي الإنسان بفاحشة ليحقق لنفسه شهوة ، وبين أن يأتي الحق سبحانه بفاحشة ليحقق لغيره شهوة ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : **هُوَ وَالَّذِينَ إِذَا فَكَّرُوا فَكِينًا أَرَادُوا ظُلْمًا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذَنْبًا إِلَّا اللَّهُ** [آل عمران : ١٣٥] هكذا نعرف أن فعل الفاحشة شيء وظلم النفس شيء آخر . إن فعل الفاحشة قد يتبع النفس للباطنة ، أما الذي ظلم نفسه من أجل أن يحقق شهوة لغيره ، هذا لم يمتنع نفسه ، ويكون قد ظلم نفسه ، فهو لم يعط نفسه شهوة اللحظة في الدنيا ، ولم يقم بحماية نفسه من عذاب الآخرة . وذلك مثل شاهد الزور الذي يشهد من أجل أخذ حق إنسان آخر ، ماذا أخذ هذا الشاهد ؟ لا شيء إلا ظلم النفس ، ولذلك نروى : « شركم من باع دينه بدنياه ومثّر منه من باع دينه بدنيا غيره » (١) .

(١) لم أجده فيما تحت يدي من مراجع .

إن النفس تطلق على اجتماع الروح في المادة ، واجتماع الروح في المادة هو الذي يعطى النفس صفة الاطمئنان أو صفة الأمانة بالسوء أو صفة النفس اللوامة ، فساعة تأتي الروح مع المادة تنعنا النفس البشرية ، والروح قبل أن تأتي تكون خبيثة بطبيعتها ، والمادة قبل أن تتصل بها الروح تكون خبيثة بطبيعتها ، فاللادة مقهورة بإرادة قاهرها . أقول ذلك حتى لا يقول قائل : إن هناك حياة مادية وحياة روحية ، وإن الحياة المادية شر والحياة الروحية خير ، ذلك أن المادة على إطلاقها خبيثة طائفة مسخرة عابدة مسبحة ، وكذلك الروح ، وينشأ الفساد ساعة تلتقى الروح بالمادة ، وعندما يلتقيان ويوجد هذا التفاعل يتم التخخير ، فيقال للمكلف : هل أنت تطمئن إلى حكم الله ، أم أنك ستلجج بين النفس اللوامة والاطمئنان ، أم أنك ستغرق في المصيبة وتكون نفسك أمارة بالسوء ؟ هذا الاختلاف إنما يأتي عند التقاء الروح بالمادة .

وحيث تلتقى الروح بالمادة فمن الذي يظلم من ؟ إن الهوى في المخالفة هو الذي يظلم مجموع النفس ، فالخطيئة في ظاهر الأمر يحقق شهوة لنفسه بالمخالفة ، ولكن واقع الأمر أنه يرهق

إن الظلم كالظهور أى : نوع من الاعتداء أو القهر أو انتقاص القدر أو القيمة ، ويقابل الظلم الإنصاف ، كما يقابل الجور العدل . الظلم إذن انتقاص من حق ، فما بالنا عندما يتقصر الإنسان من حق نفسه ، أى يظلم نفسه فيكون مظلوماً من نفسه وظالماً لنفسه ؟! وظلم النفس أوسع ألوان الظلم .. إن النفس التى كرمها الله وخلقها كانت تستحق من الإنسان أن

= وعمله مردود كما قال تعالى : ﴿ هُوَ يُجْزَى بِرَبِّهِ حَسْبَهُ ﴾
 عالمية فأصبه ﴿ هَتَلْنَا نَارًا حَامِيَةً ﴾ [النابئة ٢] وقال تعالى : ﴿ وَفَقِيمًا إِنَّكَ مَا مَعْلَمًا بَيْنَ عَمَلٍ فَجَعَلْتَنَّهُ حَكَمًا مُّشْتَرِكًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُهَا كَكُلْبٍ لَّيْجٍ يُصَبُّ لِحَصْبِهِ الْعُقَاةُ مَاءً حَارًّا إِذَا جَاءَهُمْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ نَجْمٍ ﴾ [النور : ٢٣٩] وقال فى هذه الآية الكريمة : ﴿ هُوَ قُلٌّ مِثْلَ تَيْبَتِكُمْ ﴾ أى نخبركم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثم فسرها ففانك : ﴿ الَّذِينَ صَدَّقُوا ﴾ أى الذين صدقوا فى الجزاء الدنيا ﴿ أى : عملوا أصحلاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ﴾ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿ أى : يعتقدون أنهم على شيء ، وأنهم مقبولون مسجوبون .

هذا هو ظلم النفس الفادح ، وهم أيضاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا (١١) .

(١) قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ قُلٌّ مِثْلَ تَيْبَتِكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
 الَّذِينَ صَدَّقُوا ﴾ فى الجزاء الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿ هُوَ قُلٌّ مِثْلَ تَيْبَتِكُمْ ﴾ [الكهف] . عن مصعب رضى الله تعالى عنه قال : سألت أبى يعقوب : سمعت بن أبى وقاص عن قول الله : ﴿ هُوَ قُلٌّ مِثْلَ تَيْبَتِكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أهم الجوروية ؟ قال : لا ، هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ ، وأما النصارى فكفروا بالجنه وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب ، والجوروية الذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، فكان سعد رضى الله تعالى عنه يسبهم الفاسقين ، وقال على بن أبى طالب والضحاك وغير واحد : هم الجوروية ، ومعنى هذا عن على رضى الله تعالى عنه أن هذه الآية الكريمة تشمل الجوروية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم ، لأنها ما نزلت فى هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء ، بل هى أهم من هذا فإن هذه الآية على الخصوص قبل خطاب اليهود والنصارى ، وقبل وجود الخوارج بالكلمة ، وإنما هى عامة فى كل من عبد الله على غير طريقة مرضية بحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول ، وهو مخطيء =

مثل تلك الفرحش أو ظلم النفس حتى يعفر الله لهم ويدخلهم الجنة ؛ ذلك أن الله لا يظلم أحداً هو وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُمْ آفْسُوسًا يَتْلُونَهُ لَوْلَا أَن نَّالَيْنَاهُمُ الْبِرَّ لَظَلَمْنَا فِيهَا لَمَّا زَكَّيْنَا أَنفُسَنَا لَمَّا بَدَّلْنَا قُلُوبَنَا مُنْذِرًا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

وهنا نجد أن الإنسان قد يكون ظالماً ومظلوماً في نفس الوقت ؛ لأن الناس يظلمون أنفسهم ، والنفس البشرية لها ملكات الشغ العاجل وملكات الشهوة . إلى غير ذلك ؛ هذه الملكات تتدحرج مع بعضها البعض ، فإن فعلت سوعاً ثم لمت نفسك عليه ففعلت خيراً فأنت صاحب نفس لؤامة ، وإن كانت نفست طُبعت على السوء والشهوة تكون صاحب نفس أمارة بالسوء ؛ وإذا اطمانت نفسك إلى الله سبحانه وتعالى تكون صاحب نفس مطمئنة .
والنفس الأمانة بالسوء هي التي أكلت حقوق الناس وظلمتهم . ولكنها في نفس الوقت ظلمت نفسها وأعطتها منة عاجية وقادتها إلى شقاء دائم .

○○○

يرعاها وأن يحقق موراة الله منها وأن يمنع عنها إلحاشها ما يغضب الله ؛ وظلم النفس يقول فيه الحق سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَوَّيْزُوا أَوْ قَالُوا آتَيْنَاهُمْ كَقَدْحٍ بَدِيدٍ إِذْ يُسْأَلُونَ عَنْ آيَاتِنَا قَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَعْلَمُونَ وَمَنْ يَعْلَمُ الْإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُضِرُّوهُمَا إِثْمًا إِذْ يُبَدَّلُونَ بِالَّذِينَ هُمْ يُعْتَبِرُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُ مَنَعِيَّةٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ جَجْرَى مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَلَيْسَ لِجَمِيعِ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾] آل عمران [وهكذا نرى التفريق بين فعل الفاحشة التي تتلخص في المعصية التي قد يحقق بها الإنسان شهوة ، أو نفعاً ، أو أذية للمجتمع .

ونجد أن ظلم النفس لونا آخر من العمل السيء . إن ظلم النفس يعني أن يبيع الإنسان دينه بدنيا غيره . إن الذي يبيع دينه بدنيا غيره لا يحقق لنفسه أى نفع آجل أو عاجل .
والنوع الأول : يأتي فيهم القول : « شر الناس من باع دينه بدنياه » هؤلاء هم أصحاب الفواحش .

والنوع الثاني : يأتي فيهم القول : « وشر من هؤلاء الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم » لهؤلاء وأولئك شرع الله لهم وسيلة إلى النجاة بأن يذكروا الله ، وأن يستغفروا ، وألا يعودوا إلى

الذى جعله يستشرى أن الناس أعانوه على الظلم خوفاً منه ولم يجد من يقف أمامه ، وأعلى مراتب التأييد للظالم أن يجد من يؤيئ للناس ظلمه ، وهذا التبرين يساعد على نشر الظلم ، فالركون إلى الظالم له صور متعددة ، وإذا استعرضت أنواع الظلم في الكون كله تجد أنه ما من ظلم انتشر إلا لأن الناس أيدوا الظالم ، وزينوا له عمله ، ولو أنهم وقفوا ضده من أول لحظة ما انتشر ظلمه واستشرى .

والحق تعالى يقول : ﴿ وَبَا لَكُمْ بَيْن دُونَ اللَّهِ بَيْنَ أُولِيَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، فَلَا تَكُونُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَلَا تَسْتَمِينُوا بِهِمْ ، فَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُعِينُ لَكُمْ وَالنَّاصِرُ لَكُمْ ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى أَمْرِهِ وَلَا تَتَجَاوَزُوهُ إِلَى غَيْرِهِ .

○○○

النهي عن الركون إلى الظالم

الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [مود : ١١٣] الركون معناه الميل والسكون والبرودة والرحمة . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ لأنك إن ركنت إلى الظالم أي بملت نحوه وصادفته أدخلك معه ، ولكن إن ابتعدت عنه ولم تركز إليه أحس بأنك تأوى إلى ركن شديد ، فلا تركز إليه حتى يفهم أنك واثق بالله وقدرته على الظالم . حيثف تضعف نفسه ؛ واثقة الدنيا هي أن نستعين بالظالمين ونعينهم على ظلمهم ؛ ذلك أن الذى يستعين بالظالم لا يثبته إلى أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يطيح بهذا الظالم وكل ما يملك من جيوت ويطش وقوة . والله سبحانه وتعالى يحلنا من ذلك فيقول : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ الْتَارُ ﴾ [الأنعام : ٢] لأننا لم نقف ضد الظالم ، بل أعاناه على ظلمه ، ولو أن الظالم فى أول مرة ظلم فيها وجد من يقاربه لكف عن ظلمه ، ولكن

الظلم سبب الهلاك

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَمْ بَيْنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا تَهْتِكًا بِأَسْمَاءِ بَنَاتٍ أَوْ هُنَّ قَائِلُوتٌ ﴾ [الأعراف : ٤٤] وسأله تسمع ﴿ كَمْ ﴾ كان تقول : كم أكرمت فلاناً ، أو كم فعلت كذا ، تكون المسألة قد خرجت عن مجرد حصرها بالعدد ، فلو كان العدد بسيطاً فلا تستخدم كلمة « كم » ولكن إذا زاد العدد عن أن يحصر ، فإننا نستخدم كلمة « كم » ؛ لأنه كثير لا يعد ، وهكذا إهلاك الله للقرى بظلمهم .
والقرية : هي المكان المدد إعداداً خاصاً لتكون فيه كل الاحتياجات اللازمة لمعيشة الناس ، بحيث يجد الناس المسكن والعلف والشراب وكل ضروريات الحياة . ولكن هل الله يهلك القرى ؟ أو يهلك من في القرى ؟ مرة يهلك القرى لهدمها ويجعل عاليها سافلها كما حدث لقوم نوح وقوم لوط ، ومرة يهلك أهل القرى فتأخذهم الصيحة مثل قوم صالح ،

ولكن المراد في هذه الآية : هو أهل القرية فالقرية ، كميان ومكان وآبار وصيون ... إلخ . كلها مقهورة على الطاعة مسخرة لله سبحانه وتعالى لا تقدر على معصية ، ولكن الذي يقدر على المعصية هم أهل القرية والله سبحانه وتعالى يستخدم في القرآن الكريم لفظ القرية كناية عن أهلها ، فيقول في سورة يوسف : ﴿ وَتَسْتَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] وبالطبع لن يسأل أحد مبانى القرية أو أرضها ، ولكنه يسأل أهل القرية .

ولكننا لا بد أن نلفت إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ بَيْنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا تَهْتِكًا بِأَسْمَاءِ بَنَاتٍ أَوْ هُنَّ قَائِلُوتٌ ﴾ [الأعراف : ٤٤] أيهما يأتي أولاً الإهلاك أم البأس ؟ البأس طبعاً يأتي أولاً فيهلك الناس . إذن فكان على قدر علمنا أن تكون الآية : وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها ، لأن البأس هو الذي سيهلك الناس ، تقول لك : لا ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يريدنا أن نأخذ أحداث الكون بظواهرها كما تحدث ، بل بما

كيف يتقن الله من الظالم ؟

التاريخ أرانا ذلك فقد صنع الظالمون بعضهم في بعض الكثير ،
بينما لو تمكن منهم أصلًا وهم الحقيقيون لرحمهم .
وقد بلغنا عن سيدنا مالك بن دينار - وهو من أهل الخير -
أنه قال : قرأت في بعض الآثار حديثًا قديمًا يقول فيه الحق
تبارك وتعالى : « أنا ملك الملوك قلوب الملوك بيدي » (١) .
فياكم أن يظن الظاغية أو الحاكم أو المستبد أنه أخذ الحكم

(١) ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم [٩٢٧٢] عن أبي المرءاء رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول : أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك بيدي ، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرافة وإن العباد إذا عصروني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع أكفكم ملوككم » وقال : رواه الطبراني في الأوسط . وفيه وهب بن راشد . وهو متروك .

هو في علم الله سبحانه ، فأهلك القرية لا يأتي الرجال ، لكنه يأتي بحكم أزل من الله على أولئك الذين أفسدوا في الأرض ، فالله قد حكم على القرية بالهلاك أو لا فجاه البأس ليطم أمر الله . إذن .. فالحكم من الله بإهلاك القرية سابق في علم الله على نزول البأس عليها .

○○○

قال عليه الصلاة والسلام : « ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يُشاكها » (١) .

فإذا فعل العبد من أهل الخير بعضًا من السيئات ، يوفيه الحق جزاءه من مرض من مرض في جسمه أو خسارة في ماله ، وكذلك للمسيء الذي لا يريد له الله النكال في الآخرة . يقول الرسول ﷺ : « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله تعالى له به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » (٢) .

○○○

(١) أخرجه البخاري [٥٣١٧] ومسلم [٤٩/٢٥٧٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٤٧ / فتح] ومسلم [٤٥/٢٥٧١] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

بذكائه أو بقوته ، بل جاء به الحق ليُردب به الظلمة ، بدليل :
أنه ساعة يريد الله أن تنتهي هذه المسألة فهو بجلاله يتبرع المهابة من قلوب حراسه ، وبدلاً من أن يدافع عنه بالبندقية ، يصوب البندقية إليه .

فياكم أن تظنوا أن ملكاً يأخذ الملك قهراً عن الله ، ولكن إذا العباد ظلموا ووطنوا ؛ يسلط الحق عليهم من يظلمهم ، ولذلك يقال : « الظالم سيف الله في الأرض ينتقم به ، وينتقم منه » قال تبارك وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .
فكان ما سُلِّطَ على الناس من شرعات هو نتيجة لأصالحهم ، ولذلك كان أحد الصالحين يقول : « أنا أعرف منزلي من ربي من خلق دابتي ؛ إن جمعت لي أقول : ماذا صَبَّحْتُ حتى جمعت لي اللدابة ؟ » وكان المسألة محسوبة . وهذه معاملة الاختيار ، عندما يرتكب ذنباً ؛ فإنه يؤاخذ به على الفور ، حتى تصير صفحته نظيفة دائماً .

[الأنعام : ١٢٤] .

إذن ... الظالم يأخذ أكثر من حقه ، ويفتري على غيره ،
ويظلمه ويسلبه حقه ، ولكنه حتى لو أخذ الدنيا كلها ثم جاء
يوم القيامة وأراد أن يفندى نفسه من العذاب بكل ما أخذ :
فلن يُقبل منه .

لماذا ؟ لأنه ظني ، وظلم ، وافترى ، والله سبحانه وتعالى
يقول : ﴿ وَفَدَّ حَتَابٍ مِّنْ أَقْرَبَيْنِ ﴾ [طه : ٦١] وهذه ظاهرة
موجودة في الدنيا قبل أن نصل إلى الآخرة ... فهب أن إنساناً
ارتشى واختلس وسرق ، ثم بعد ذلك سقط في يد القانون
فقال لهم : خلدوا ما عندي واتركوني . تماماً كالذي يحاول
تهريب مبالغ كبيرة من النقد الأجنبي ثم يقول : خلدوا هذه
المبالغ واتركوني .

إذن .. فالإنسان في ساعة الخطر يرتكب هذه الآثام
والشروع ، ثم يسلك به للتصاوس ؛ فيحاول أن يفندى نفسه
بكل ما يملك ، لكن هذا لا يقبل في الآخرة ، إلا أننا لابد أن
نتوقف عند آيتين من سورة البقرة ، وأرلهما : قول الحق

حَالُ الْكَافِرِ وَالظَّالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قد يخطر ببال الكافرين أنهم يستطيعون أن يفندوا
أنفسهم من العذاب في يوم القيامة بأي شيء ، يقول الحق
جل جلاله : ﴿ وَكَوْنُوا لِكُلِّ قِسْمٍ ظَلَمْتُمْ مَا فِي الْأَرْضِ لَاقِنْتُمْ
بِهِ ﴾ [يونس : ٥٤] ، أي : أن الكافرين عندما يرون العذاب لو
أن لهم ما في الأرض بما فيها من نفائس وكنوز ؛ لقدموها
فداءً لأنفسهم من هول ما يرون ، ولكن هيهات ، لا يُقبل منهم
يوماً؛ صرف ولا عدل .

والظلم : أخذ حق الغير ، ومعنى حق الغير : أي ما كسبه
بطريق مشروع ، فالظالم يأتي إلى ما كسبه غيره بعرقه ويأخذه
منه ظلماً وعدواناً ، وهذا يوقف حركة الحياة ؛ لأنه ما دمت
سأعمل أنا ويأخذ غيري ناتج عملي فإنني لن أصعل .
والظالم حين يظلم لا يأخذ حق غيره فقط ، بل يُفترى غيره
من الأقرباء على أخذ حقوق الضعفاء وظلمهم ، فينتشر الظلم ،
ولذا انتشر الظلم في مجتمع تأتى معه البطالة وتتمطل حركة
الحياة كلها .

في الآية الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا عَدْلٌ ﴾ هذا يعود على نفس الشفاعة أول ما يفندي به يقول : خذ هذا وانركني ، بلنا لم يقبل منه بحث عن شفيع يشفع له فتكون الشفاعة مرفوضة ، ولذلك قال الحق سبحانه في الآية الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا عَدْلٌ وَلَا نَنْفَعُكَ شَفَعَةٌ ﴾ [البقرة : ١١٢٢] .
 في الآية الثانية تبدأ بالشفاعة ، حيث يأتي من يشفع عند الله للظالم فلا تقبل شفاعته ، فعندما لا تقبل الشفاعة يعرض أن يتحمل الغرم عن صاحبه ، فيرفض هذا أيضاً ويقال : لا يؤخذ منك عدل ، ولذلك قال تبارك وتعالى في الآية الثانية : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنَّا عَدْلٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .
 أي : في الآية الأولى لا يقبل منها العمل ولا تنفعها الشفاعة ، وفي الآية الثانية : لا تقبل الشفاعة ولا يؤخذ العمل ، وهكذا نرى أن قول الحق جل جلاله : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا عَدْلٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] معناها : أنها طلبت ما في الأرض لا تقبلت يوهه ﴿ [يونس : ٢٥٤] معناها : أنها حارلت أن تدفع ما في الأرض بافتراض أنها ملكته ، فلا يقبل الغلاء ، ولو شفيع بها أحد لا تقبل شفاعته .

سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْرِي تَفَسُّعٌ عَنْ تَفَسُّعِ يَوْمًا وَلَا تَأْتُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي تَفَسُّعٌ ﴾ [البقرة : ١١٢٢] .
 والآية الثانية قوله جل جلاله : ﴿ وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْرِي تَفَسُّعٌ عَنْ تَفَسُّعِ يَوْمًا وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنَّا عَدْلٌ وَلَا تُمُّ يُصْرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] الذين في قلوبهم مرض يأخذون من مثل هذه الآيات الكريمة مدخلاً للشكك في القرآن الكريم ، يقولون : إن الأسلوب واحد والمعنى واحد ، ولكن مرة قدمت ﴿ عَدْلٌ ﴾ على ﴿ شَفَعَةٌ ﴾ ومرة قدمت ﴿ شَفَعَةٌ ﴾ على ﴿ عَدْلٌ ﴾ ومرة جاءت ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا عَدْلٌ ﴾ ومرة جاءت ﴿ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنَّا عَدْلٌ ﴾ ومرة جاءت ﴿ وَلَا تَفَعُّكَ شَفَعَةٌ ﴾ : ﴿ وَلَا تَفَعُّكَ شَفَعَةٌ ﴾ نقول : لو عرف هؤلاء بلاغة العرب لفهموا أن الآية الأولى بليغة ، والآية الثانية بليغة .
 الآية الأولى تقول : ﴿ وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْرِي تَفَسُّعٌ عَنْ تَفَسُّعِ يَوْمًا ﴾ فكلم نفساً عندنا ؟ نفسان : النفس الأولى هي التي تشفع ، والنفس الثانية هي المشفوع لها .

عقاب الظالم في الدنيا قبل الآخرة

إن العذاب لو أُجِّل كله للآخرة لانتشر الظلم بين الناس ، واستشرى في الكون كله ، فالإنسان الذي لا يؤمن بالآخرة ؛ سينطلق ليعربد في الكون كما يشاء ؛ لذلك كان لا بد أن يكون له جزاء في الدنيا يألفه الناس إلى قويمية الله سبحانه وتعالى على كونه ، وأن يكون عذاب الظالم في الدنيا عظة وعبرة لغيره ، ثم يُردُّ إلى ربه فيعذبه عذاباً شديداً ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الطور: ٤٧] أى : أقرب من عذاب الآخرة وعندما يتكلم الحق سبحانه وتعالى عن عذاب الدنيا يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأمراف: ١٨٢] أى : سنحاج عليهم كما يستدرج الحقق التهم ، يأتي بسؤال من هنا وسؤال من هنا حتى تتناقض أقواله ويعترف .. والاستدرج من الدرج وهو السلم ، والسلم وسيلة الانتقال من أسفل ؛ لأنه لا يمكن للإنسان بخطوة واحدة أن يصعد من الدور الأول إلى

ثم يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاسْمُرُوا الصُّلَّةَ كَمَا كَرِهُوا الصُّلَّةَ ﴾ [يونس: ٢٥٤] وأسروا بمعنى : أخفوا ، والصلامة : هي الحسرة . وكرهتهم أسروها أى لم تظهر عليهم ، وإنما تقطع قلوبهم ؛ لأنه إذا كان العذاب عظيماً تتجعد السماء في عروق المذنب فلا يستطيع أن يصرخ ، فهول الموقف يخرس لسانه تقول له : تكلم فلا يستطيع النطق . والصراخ نوع من التنفيس البدني وعدم القدرة على الصراخ ؛ زيادة في العذاب .

○○○

في : أصروا على الكفر والمصيان ﴿ فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِي كُلِّي مَوْتَة ﴾ أي أعطيتهم بركة في الصحة والمال والولد وكل نعم الدنيا .

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعْنَا بِمَا كَانُوا أَفْسَدْتَهُم بَنِينَ قَدَآءًا فَهُمْ مُمْلِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] لماذا ؟ لأن الله حين يريد أن يعاقب إنساناً ظالماً يأخذهُ أخذة لينة عليه يرتدع فإذا أصر على طغيانه فإنه يعطيه حتى يرتفع . ثم بعد ذلك يأخذهُ أخذة قوية فيهبط من أعلى إلى لا شيء . تماماً كما يمسك إنسان بأخر في مشاجرة ويرفعه إلى أعلى ليلقيه على الأرض . لماذا رفعه إلى أعلى ؟ لتكون السقطة قوية ؛ فلو أنه دفعه إلى الأرض وهو واقف لكانت السقطة أضعف .
وإذا أراد بشر أن يستخرج بشراً فالبشر الثاني له ذكاه يستطيع أن يكشف به الهابوية التي يساق إليها ، ولكن إذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذي يستخرج فهل يملك إنسان ذكاء مع الله ؟ لذلك قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ سَتَجِدُنَهُمْ قَبْلَ

الدور الخامس متلاً ، ولا أن يهبط من الدور الخامس إلى الدور الأول .

إذن .. فلا بد له من مستويات متعددة حسب قدرة الحركة المادية ، بأن تكون الدرجة من العلو بمقدار ما يستطيع أن يرفع قدمه ، ومن الاتساع بحيث تقف القدم عليها ثابتة ، أي أيها تتم بحساب دقيق لقدرة الجسم على الحركة دون إرهاق . إذن فالاستدراج إما لأعلى وإما لأسفل ، وهذا بالنسبة للآخرين . إن المؤمني خُصوا بالدرجات العليا من الجنة ، والكافرين خُصوا بالمراكز السفلى من النار ، وليست درجات الدنيا كالآخرين بل هناك فارق كبير .

ومعنى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ سَتَجِدُنَهُمْ ﴾ بالنسبة للدنيا : هو أننا سنأخذهم درجة درجة فإني لهم العذاب الأصغر ، ثم يرفع عنهم فيستمروا في عصيانهم ؛ فيأتيهم عذاب آخر ، ثم يرفع عنهم ؛ فيستمرون في طغيانهم . وهكذا يظنون يتزولون حتى يصلوا إلى عذاب النار في الآخرة . وفي ذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ قَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [الأنعام : ٤٤]

والكبد هو المكر ، وهو تدبير خفي ضد المذكور به ، ويكون التدبير خفياً حتى لا يستمد الخصم بلكات الدفاع عن النفس بلدفع الشر عنه ، وإذا كان البشر يكررون وقد يكشفون خصومهم مكرهم وقد لا يكشفونه .. فما بالك إذا كان المكر يأتي من الله ، هل يستطيع أحد كشفه أو دفعه ؟ بالطبع هذا مستحيل ؛ ولذلك قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدِي مِتَّيَّنٌ ﴾ والذين هو الظاهر . وعظم العمود القوي لا بد أن يكون متيناً حتى يستطيع أن يحمل الجسم ويكون حوله من اللحم ما يحميه ويقويه ، ومعنى قول الحق : ﴿ إِنَّ كَيْدِي مِتَّيَّنٌ ﴾ أى : قوى مثل العمود الذى يحمل المعلم وهو أقوى شىء فيه ، ولا الذين الكلام شرح وحاشية ، ولكنها كلها قائمة على : الذين ، أى : الشىء الصلب القوى .

○○○

حيث لا يَلْمَؤُونَ ﴿ القلم : ٤٤ : أى : لا يمكن الإنسان أن يكشف استراتيج الله له ويعطه لسبب بسيط هو أن الله يعلم والإنسان لا يعلم ، ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَمْ يَنْ كَيْدِي مِتَّيَّنٌ ﴾ [القلم : ٤٥ : والإملاء : هو الإمهال ، أو التأخير أى أن الله سبحانه وتعالى لا يأخذ الظالم مرة واحدة ، بل يأخذه درجة درجة حتى يحس الناس بشور هذا الظالمية ويعرفوا حين يأخذه الله قيمة الخير وقيمة الإيمان وقيمة منتهج الله فى حياة الإنسان ، فلو أن كل ظالم أخذ فى اللحظة التى ظلم فيها ما أحس الناس بشور الظالم ، وما أحسوا الله فى الحماية لهم من هذا الظالم وغيره .

إذن .. فهذا الإمهال يوجد يقيناً فى نفوس المؤمنين بضرورة منهج الإيمان ، وكلما زاد الشر فى مجتمع ؛ حاج الخير فى نفوس الناس ، واتجهوا إلى منهج الله لينقذهم مما هم فيه . والحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَأَنْتَ لَمْ يَنْ ﴾ [القلم : ٤٥ : أى : سأهملهم ، ولكنى لن أهملهم ، فهنا إمهال فقط ، ثم بعد ذلك أخذ شديد ، وقال : ﴿ إِنَّ كَيْدِي مِتَّيَّنٌ ﴾ [القلم : ٤٥ : .

ولأن الله سبحانه وتعالى رب الجميع وخالق الجميع فكلمهم في
 عطاء الربوبية سواء ، فالشمس تشرق على المؤمن والكافر ،
 ولما يزل للمؤمن والكافر ، والهواء يتنفسه المؤمن والكافر ؛
 لأن هذا عطاء ربوبية ، كل الناس فيه سواء ، فإذا ظلم إنسان
 إنساناً آخر سواء كان الظالم والمظلوم مؤمناً أو كافراً ،
 فلا بد أن يفصل الله سبحانه وتعالى في هذا الظلم بالعدل .
 ولا يظلم ربنا أحداً ، وهو الذي أمرنا بأن نتخلق بأخلاقه
 ومنها العدل ، فقال سبحانه في كتابه الخالد : ﴿ وَلَا
 يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰكُمْ أَلَّا تَعْتَدِلُوا قَوْمٌ آٰتَرِبَ
 ۝۱۰۰﴾ [التوبة : ۱۰۰] .

(١) أي لا يحملكم بغض قوم على ألا تعدلوا ، فاعتدوا عليهم ،
 فمن له حق يجب أن يأخذه ، والعدالة حين تُطلب مع الخصم
 هي تبريح لذلك الخصم ؛ لأنه خالف الإيمان ، ومن التوكل أن
 الخصم يقول لنفسه : إن عدالة هذا المسلم لم تقمه من أن
 يقول الحق ، ولا بد أن عقيدته تجعل منه إنساناً قوياً ، وأن دينه
 الذي أمره بذلك هو نعم الدين .

العدل .. حتى مع الكفار والظالمين

يقول الله تعالى : ﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا
 يَتْلَوْنَ ۝۱۰۱﴾ [يونس : ١٠١] كيف يقضى بينهم وكلهم كفراً
 وظالمون ؟ المفترض أن يقضى بين المؤمنين وبين الكفار والظالمين
 ؛ لأن القضية قائمة بينهم ، ولكن الكلام عن المستحقين
 للعذاب : كيف يقضى بينهم ؟ انظر إلى عدل الله سبحانه
 وتعالى .. لا تظن أن الكافر بالله لا يعاقب إذا ظلم كافراً مثله
 .. حب أن كافراً ظلم كافراً ، هل يترك الله سبحانه وتعالى
 هذه المسألة ولا يقتص من الظالم ؟ نقول : لا .. لأن الله
 سبحانه وتعالى خلفنا جميعاً ، ومقتضى الربوبية أن يعاقب كل
 ظالم ، ويأخذ حق كل مظلوم ، ولو كانا كافرين به سبحانه
 وتعالى .

الله تعالى يقول : ﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَتْلَوْنَ ۝۱۰۲﴾
 تنبي : أن هناك شيئاً يتطلب القضاء ، والقضاء مناه : علم
 التحيز ، والفصل بين خصمين ، والقضاء يترتب عليه حكم ،

أسباب الحصول على الرزق ، لكن إذا أنفق كل إنسان واشترى ما يلزمه ستدور عجلة الحياة وتستمر ، ولكن لا يشتري بكل ما يملك ، بل عليه أن يبدخ جزءاً لوقت الحاجة حتى يتمكن من ترقية حياته والارتفاع بمستوى معيشته ، ويوفر لنفسه والأسرته الحياة الكريمة .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٢٧] لأنه إن قُتِرَ يعطل حركة الحياة ، وإن أسرف يعيش مُتَشَتِّراً متمباً ولا يستطيع أن يُترقى حياته ، لذلك قال الحن سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولًا مَغْلُولَةً إِن يَدَيْكَ إِلَى مَعْفِكَ وَلَا تَبْسُطْهُمَا كُلِّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الاسراء : ٢٩] والله سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان خلق له مقومات حياته من طعام وشراب وهواء ، وحدد له الطعام الحلال الذي يأكله والحرام الذي يتعمد عنه ، فمن أعظم الإسراف أن تنقل ما حرمه الله إلى ما أحله الله ، فالذي يفعل ذلك يكون متجاوزاً للمحد . إذن .. فالإسراف هو تجاوز الحد .

جزاء المسرف في الظلم

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَلَمًا ﴾ [طه : ١٢٧] وكذلك أي : يعزل هذا الجزاء تجزي من أسرف ، والإسراف هنا هو تجاوز الحد في الأمر الذي يُعلم له حد معقول . فالواحد منا يأكل من أجل استيقاه حياته ، فإذا زاد في الأكل فقد أسرف ؛ فالإسراف هو تجاوز الحد المطلوب في العملية : فمثلاً : دَخُلُ الإنسان لو صرفه كله ولم يبدخ منه شيئاً ؛ لا يمكن أن ترتقى حياته أو تحسن معيشته ، فلا يستطيع في يوم من الأيام أن يشتري سيارة يتقل بها ، أو ينسى بيتاً له ولأولاده ؛ لأنه يصرف كل دخله ولا يبدخ شيئاً .

ولكن الإسلام علمنا الاعتدال في الإنفاق بأن نصرف جزءاً من دخلنا ونبدخ جزءاً ، فالله تعالى يريد من الإنسان في اقتصادياته شيئين : الإنفاق وعدم الإسراف ؛ لأنه لو لم ينفق لتملكت مصالح الدنيا وتروقت المصانع وتعطل العمال وتشتت

ما داموا من المؤمنين به وبرسولهم ^{عليه} صلوات الله عليهم من محبي
البعيدة عن الشرك ، فليسارع كل مسرف على نفسه ، وكل
متجاوز لشرع ربه ، وكل معتد على حق من حقوقه سبحانه ،
أو حقوق خلقه بالإنافة إلى الله تعالى والرجوع إليه عسى الله أن

يتوب عليهم ، ويفزر لهم ما قد سلف .
وقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ
يُؤْمَرْ بِكَافِرٍ بِهِ ۗ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١١٧] يشير
إلى أن الإسراف تنقل الحرام إلى الحلال ، وتنقل الحلال إلى الحرام
بالإسراف تنقل الحرام إلى الحلال ، وتنقل الحلال إلى الحرام
ويعنى ذلك أنك تعطل آيات الأحكام .

○○○

الظالم

ومن ثم فلا تصفح على نفسك بأن تحرم عليها ما أحله الله ،
ولا تسرف على نفسك بأن تتجاوز الحد وتحل ما حرم الله
وكل هذا في صالح دينك وآخرتك .

الحق سبحانه حينما خلق الإنسان أوجده له مقومات حياته ،
كما أنه ضمن له بقاء نوعه حتى يستمر الجنس البشرى إلى
أن تقوم الساعة ؛ فشرع له الزواج الذى به يستمتع ويحفظ
النسل ، وجعل له ضوابطاً وقوداً ، فلا تسرف في هذه الناحية
ولا تتعد على الحرمات التى حرمها الله ، فالذى أسرف في
حياته هو الذى نقل شيئاً من منطقة الحرام إلى منطقة الحلال ، أو
نقل شيئاً من الحلال إلى منطقة الحرام .

والله تعالى من رحمته بعبده ولطفه به دعاه إلى عدم اليأس
والقنوط إذا ما أسرف على نفسه واتبع شهواته وما زين له
الشیطان من أعمال تخالف شرع الله ، فقال سبحانه وتعالى :
﴿ قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] فالله تعالى
يحببهم في التوبة والرجوع إليه ؛ لأنه سبحانه سيقبل توبتهم

الظالم

والله سبحانه وتعالى حدد لنا مصارف المال ، وكذلك موارده ، فمن تجاوز ما حددته الله وشرعه في طريقة إدارة أموره ، كان يكون من المتعاملين بالربا مثلاً ؛ فهذا من أعظم التجاوز في الأمر .

إن الإسراف في الأمر : هو أن يأخذ الإنسان حاجة أو شيئاً ليس من حقه، والذي ليس من حقتك ولم يقسمه الله لك ؛ ليس من ضروريات حياتك ، وتستطيع أن تعيش بدونه .

○○○

الإسراف .. يهدد مقومات الحياة

يقول الحق تعالى : ﴿ هُوَ رَبُّنَا أَخْفِزْ نَا دُنُوْبُنَا وَاسْرَافْنَا فِيْ اَمْرِنَا ﴾ [آل عمران : ٤٧] ما الإسراف في الأمر ؟ إن كل معصية هي زيادة عن مقومات حياة الإنسان ، إن الحق سبحانه قد شرع لنا الزواج لتكوين أسرة والإنجاب لعمارة الكون والاستمتاع بالإنشاء إلى ما أحله الله سبحانه لنا وفق شروط وقواعد محددة ، لكن عندما تأخذ أكثر من العدد المحدد مثلاً ، أو تتخذ الخلائق وتترك الخلائق ، أو نصعب على راضى الزواج زواجهم ، أو نختار على غير هدى من الشرع الحنيف ؛ فإن ذلك إسراف في الأمر .

والله سبحانه قد أعطانا من المال ما قسمه لنا ، فإن طمعنا في مال الغير وأخذنا منه بغير حق ، فهذا من شأنه إثارة العداوة والبغضاء بين الناس ، وتقطع أوصل القرى وصلة الرحم ، وهو تجاوز وإسراف في الأمر .

الإسراف... فساد في الاختيار

إن الذين يسرفون على أنفسهم في المعصية لا يستحضرون أمام عبودتهم الجراء على المعصية ، ولذلك كل الجرائم إنما تنجم في غفلة صاحبها عن الجراء ، إن الجرم إنما يرتكب جرئته وهو مقلد السلامة لنفسه .. فالسارق يذهب إلى السرقة وهو مقلد السلامة ، لكن لو وضع في ذهنه أنه من الممكن أن يتم القبض عليه لا فعلها أبداً ، إن الحق سبحانه وتعالى يقول : إياك يا من تريد أن تتحرف بتنهج الاختيار الذي أعطيه لك أن تتحرف عن منهجي بالألا تقلد الجراء على هذه المخالفة . وعندما قضية واضحة وإسأل نفسك كم ستمطيك المعصية من نفع ، وكم ستمطيك من شقاء ؟ وضع الاثنين معاً في كفتي ميزان ، وستعرف أن الذي سيمطيك الخير الأبقى هو الذي يجب أن تفعله ، وعليك أن تتعد عما لا يعطيك الخير الأبقى . واعلم أن : ﴿ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَيِّتِينَ ﴾ [النساء : ٨٧] وتوهم القيامة هو اليوم الذي قال فيه الحق : ﴿ هُوَ يَوْمَ يَكْفُرُ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَا كَانُوا عَمِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠]

رَبِّهِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ ولماذا يوم القيامة ؟ لأنه يوم الجزاء الذي يجزى الله تعالى فيه من أحسن ، ويعاقب فيه من أسوأ . ولنضرب هذا المثل لا للتشبيه ولكن للتقريب - والله المثل الأعلى - إن الوالد يعطي ابنه جنيهاً ويقول له : اشتر ما تريد ولكن لاحظ أنك إن اشترت شيئاً مفيداً سأكافئك ، وإن اشتريت أى شيء مفسد كأوراق اللعب أو غيرها فسأعاقبك . إن الوالد ساعة أعطى ابنه لقوة الشرائية وقال له : انزل اشتر ما تريد .. هل الابن ساعة أن اشترى أوراق اللعب هل هذا الشراء تم غصباً عن أبيه ؟ لا ؛ لأن الأب هو الذي أعطاه الاختيار ، ولكن الابن فعل فعلاً غير محجب لأبيه ، فما بالنا بالعبء عندما يحيد عن طريق الهداية الذي أمره الله تعالى به ؟ إن العبء حين يسير على طريق التنهج إنما يفعل ما هو محبوب لله .. ونحنما نخرج بالمعصية عن التنهج إنما يفعل ما هو غير محبوب لله .. ولو أراد الله الناس جميعاً على الهداية لجهلهم كاللائكة ، ولا جزؤ أحد من العباد أن يخرج عن طاعة الله .. إن العاصي عندما يرتكب المعصية إنما يفعلها لأن

الإسراف .. ظلم من الإنسان لنفسه

الرجل الذي أسرف على نفسه في تناول المحرمات كالخمر مثلاً ؛ يأتي عليه زمان فيمنع نفسه عن أشياء هي بالطبع حلال له ، فيقول له الطبيب : لقد تليف كبدك من شرب الخمر وصار من المنوع عليك أن تأكل أصنافاً كثيرة من الطعام والشراب .

إذن .. فهذا الإسراف ظلم من الإنسان لنفسه ؛ نتج عنه منع أشياء عليه . هي حلال له ، ناهيك عن عقوبة الآخرة . إن مثل هذا الإنسان قد وقع فيما حرم الله ، فعاقبه الله بعنقه من أشياء هي حلال له .

ومثال آخر : الرجل الذي أسرف على نفسه في تناول صنف معين من الطعام كالسكر مثلاً ، وبأكله فترق ما تدعو إليه الحاجة فأضر بصحته ، وهي نعمة من الله تعالى له ، ولم يحافظ عليها بالاعتدال ، فيقول له الطبيب مثلاً : لقد أخذت أكثر من حقاك ، ولذلك فأنت عطلت في جسدك القدرة على

الله سبحانه خلق له الاختيار ، ولذلك فعندما يقول واحد : إن كل فعل من الله . هذا قول صادق ، فإذا ما سأل سائل : ولماذا تُعذَّب ؟ تكون الإجابة : لأن الإنسان لم يوجه آية الاختيار إلى ما تصلح له به ، ولكنه اختار المخالفة لأمر الله ، فالسكين مثلاً موجودة للذبيح فلر ذبحنا بها ذجاجة لا كان في ذلك ما يستحق العقاب ، ولكن لو ذبحنا بها إنساناً لوقعتنا في المحظور ، فالذي جاء بالسكين إلى المنزل هل نقول له : أنت أثبت بأداة جرمية ؟ لا .. لقد جاء بآلة يمكن استخدامها لصنع شيء مفيد ، ويمكن استخدامها كأداة جرمية .

إذن .. فالذي يقول : إن كل فعل عن الله هو صادق لأنه حتى المختار لم يفعل باختباره إلا لأن الله تعالى خلقه مختاراً ، لكن هل الحق سبحانه وتعالى ألزمه بأن يفعل المصلحة ؟ لا .. إن الحق سبحانه قد وضع المنهج ليرشد كل إنسان إلى الطريق الصواب ، فإذا ما اختار الإنسان شيئاً بالمخالفة للمنهج ؛ فهذا اختياره ، وهو مسؤول عنه ، ومحاسب عليه .

○○○

فهب أن إنساناً في صحراء ، ومعه جبل من الذهب ، لكن الطعام انقطع عنه .. إن جبل الذهب في مثل هذه الحالة لا يفتح ، بل يصبح رقيق الخبز وكوب الماء في تلك الحالة أغلى من الذهب .

إذن .. فاللرزق لكنه غير مباشر يأتي به الرزق المباشر . إن الذي يريد ماله بالربا ؛ عليه أن يعلم أن الله سبحانه يحق ذلك ويظفر المال في كوارث ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يَسْخَرُ اللَّهُ أَزْوَاجًا وَيُزِيهِ الْكَافِرَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] . إن الإنسان هو الذي يشترس نفسه ، فإن أراد الإنسان أن يبقى له ما أحل الله إلى أن يأتي أجله ، فعليه ألا يبيع نفسه أى شيء حرمة الله ، وبذلك يظل مستمتماً بنعم الله عليه ؛ لأن الحق قد قال : ﴿ وَمَا زِيحٌ بِظُلْمٍ نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِنْ الْإِنْسَانُ هُوَ الَّذِي يظلم نفسه مصداقاً لقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يظلم النَّاسَ وَلَكِنَّ النَّاسُ أَنفُسَهُمْ يظلمُونَ ﴾ [يونس : ٤٤] .

○○○

حُسن استخدام السكر ، وصرت مريضاً ، فاحذر أن تتناول السكريات مرة أخرى ، ويظل المريض بالسكر يشتهي الحلوى ، ويملك القدرة على شرائها ولكنها ممنوعة عنه ، وكان الحق سبحانه وتعالى يقول له : يظلم منك لنفسك حرمت على نفسك ما أحلته لك .

إذن .. فالتحريم قد يكون بالتشريع إذا كانت المعقوبة من المشرع ، وقد يكون تحريماً بالطبع والنفطرة ، هذا إن كان في الأمر إسراف من النفس . ولتقرأ دائماً هذه الآية : ﴿ وَيُظَاهِرُ بَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا حَتَّىٰ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَرَبَّحْتُم مِّنْ بَيْنِ الْأَيْدِيكَ هَٰذَا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [النساء : ١٦٠] .

وكذلك الذي يأخذ مالا بالربا ، إنه يأخذ المال بالربا ليزيد ماله هنا نقول له : لماذا تريد المال ؟ أتريده لذات المال أم لهدف آخر ؟ صحيح أن المال رزق ، لكنه رزق غير مباشر .. إن المال رزق غير مباشر لأنه يشتري الأشياء التي يتفتح بها الإنسان وهي الرزق المباشر .

شرح حديث

« يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
وجعلته بينكم محرماً » .
لشيخ الإسلام ابن تيمية
والعلامة الإمام ابن رجب رضي الله تعالى
عنهما »

إعداد دراسة وتحقيق
مركز التراث الإسلامي والسنّة

قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

يا عبادى ! انى حرمت الظلم على نفسى ؛ وجعلته بينكم

محرماً فلا تظالموا .

يا عبادى ! كلكم ضال إلا من هدوته ؛ فاستهدونى أهدكم .

يا عبادى ! كلكم جائع إلا من أطعمته ؛ فاستطعمونى أطعمكم .

يا عبادى ! كلكم غار إلا من كسوته ؛ فاستكثمونى أكسكم .

يا عبادى ! إنكم تُخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب

جميعاً ؛ فاستغفرونى أغفر لكم .

يا عبادى ! إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا

نفعى فتنفعونى .

يا عبادى ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا

على اتقى قلب رجل واحد منكم ؛ ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً .

يا عبادى ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا

على أفجر قلب رجل واحد منكم ؛ ما نقص ذلك من

ملكى شيئاً .

﴿ وَرَبِّكَ يَسْمَلُ مِنَ الْعَبَاثَةِ وَهُوَ مُؤْتَمِرٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه : ١١٢] .

فإن الناس تنازَعوا في معنى هذا الظلم تنازَعاً صاروا فيه بين طرفين متباعدين ، ووسط بينهما ، وخيار الأمور أوسطها ، وذلك بسبب البحث في القدر ، ومجامعته للشرع . إذ الخوض في ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الأمم ؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه .

وفي حديث الكرب قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم اني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيديك ، ماضي في حكمك ، عدل في قضاؤك ؛ أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو أعلمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عنده ؛ أن يجعل القرآن ربيع قلبي وثور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وعيبي ، إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانه فرحاً (١) » . قالوا : يا رسول الله ! أفلا نتعلمهن ؟

(١) رواه أحمد في المسند [٣٩١/١-٤٥٢] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

يا عبادي ! لو أن أركانكم وأخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسأله ؛ ما نقص ذلك عما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا دخل البحر .
يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيتكم بإياها فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل ، ومن وجد غير ذلك فلا يلهوّن إلا نفسه » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

قوله تعالى : ﴿ يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي ﴾ فيه مسائلان كبيرتان ، كل منهما ذات شُعَب وفروع :
• إحداهما : في الظلم الذي حرّمه الله على نفسه ، ونفاه عن نفسه بقوله سبحانه : ﴿ وما ظلمتكم ﴾ [النحل : ١١٨] وقوله سبحانه : ﴿ وما يظلم ربك أحكماً ﴾ [الكهف : ٤٩] وقوله : ﴿ وما ربك بظالم ﴾ [التيسير] فصلت : ٤٦ [وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله لا يظلم شيئاً وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ [النساء : ٤٠] وثقّى إرادته بقوله : ﴿ وما الله بيزيد ظمناً للآبائين ﴾ [آل عمران : ١٠٨] وقوله : ﴿ وما الله بيزيد ظمناً للآبائاد ﴾ [عن : ٣١] وثقّى خوف المباد له بقوله :

فأخبر أنه أرسل الرسل ، وأتزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط ، وذكر أنه أتزل الحديد الذي به ينصّر هذا الحق ؛ فالكتاب يهدي ، والسيف ينصر ؛ وكفى بربك هادياً ونصيراً . ولهذا كان قوائم الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد ، كما قال من قال من السلف : صنفان إذا صلحوا صلح الناس : الأمراء والملماء (١) . ولا كان العدل لا بد أن يتقدمه علم ؛ إذ من لا يعلم لا يدري ما العدل ، والإنسان ظالم جاهل إلا من تاب الله عليه فصار عاكلاً عادلاً ؛ صار الناس من القضاة ، وغيرهم ثلاثة أصناف : العالم العادل ، والجاهل ، والظالم . فهذان من أهل النار كما قال النبي . المفروض إنما هو بما يلقنه جهد الرجل ، وإذا التبي عليه السلام : « إذا اجتهد الحاكم ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (٢) .

(١) وروى مرفوعاً عن النبي عليه السلام أخرجه أبو نعيم في الحلية [٩٦/٤] وابن عبد البر في جامع بيان العلم [١٨٤/١] وأورده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة برقم [١٦] وقال : موضوع .

(٢) أخرجه البخاري [٧٣٥٢-فتح] ومسلم [١٥٠/١٧١٦] عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه .

قال : « بلى ، ينبغي لمن سمع أن يعلمون » فقد بين أن كل قضاة في عبه عدل ، ولهذا يقال : كل نعمة منه فضل . وكل نعمة منه عدل .

ويقال : أطمعت بفضلك والمئة لك ، وعصيتك بملكك - أو بملكك - والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتى إلا ما عفرت لى .

وهذا الحديث قد تضمن كثيراً من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال والأصول والفروع ؛ فإن تلك الجملة الأولى وهى قوله : « حرمت الظلم على نفسى » يتضمن جل مسائل الصفات والقدرة .

وأما هذه الجملة الثانية ، وهى قوله : « وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » فإنها تجمع الدين كله ، فإن ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم ، وكل ما أمر به راجع إلى العدل . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَيَلْتَمِسُ اللَّهُ مَن يَصْطَرِّحُ رَسُولًا يَأْتِيهِ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

وحدته سبب تام لحصول المطلوب ، ولهذا لا يجب أن تقترب الحوادث بما قد يجعل سبباً إلا بمشيئة الله تعالى ، فإنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . فمن طرُق الاستغناء بالسبب عن التوكل ؛ فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل وأخل بواجب التوحيد ؛ ولهذا يُغذَّل أمثال هؤلاء إذا اعتدوا على الأسباب ، فمن رجا نصراً أو رزقاً من غير الله ؛ خذله الله . كما قال علي رضي الله تعالى عنه : « لا يرجون عبد إلا ربه ولا يحاقدن إلا ذنبه » .

وقال : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَتَبْنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ آتَيْنَا اللَّهَ الْإِنشَاءَ أَنْ يَرْزُقَ قَوْمًا مِنْ دُونِ آتَاؤِنَا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، وقال : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ أَتَيْنَا بِالسَّبَابِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا نُكْتِبُ وَأَلَمْ يَخْلُقِ الْإِنسَانَ إِلَّا مِنْ عَلَقٍ ۚ وَإِنَّ الْإِنشَاءَ لَلْإِنشَاءِ لَكُنُوزٍ ﴿ ٢٢٨ ۝ ﴾ [البر: ٢٢٨] .

هذا . كما أن من أخذ يدخل في التوكل تاركاً للأمر به من الأسباب ؛ فهو أيضاً جاهل ظلّم عاصي لله بتوكله ، فإن فعل الأمور به عبادة لله ، وقد قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ لَهُ وَرَبِّكَ عَلَىٰ ۖ إِنَّهُ يَرْتَضِيٰ ۖ فَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ بِهِ الظالم

وأما قوله : « يا عبادي ! كلّكم جائع إلا من أظفنت فاستطموني أظمكم ، وكلّكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم » . فيقتضى أصلين عظيمين : أحدهما : وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع الضرر كاللباس ؛ لأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة . وإنما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ، ولهذا قال : ﴿ وَطَقَّ الظُّلُودُ أَمْرَ رَبِّهِنَّ وَكَسَوْنَهُنَّ بِأَعْرُوفِهِنَّ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُؤْتِيكُم مِّنْ رِّزْقِكُمْ وَأَن يَتَذَكَّرَ لَكُمْ يَوْمَ الْآزْمَةِ إِنَّكُمْ لَعِندَهُ لَمَّا نُقِيتُم مِّنْ آلَادِكُمْ أَنتُمْ وَآلَاؤُكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَتَكُنُّمُ اللَّامِقِينَ ﴿ ٢٥٠ ۝ ﴾ [النساء : ٢٥٠] فالأمور به هو المقدر للعباد وكذلك قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُؤْتِيكُم مِّنْ رِّزْقِكُمْ وَأَن يَتَذَكَّرَ لَكُمْ يَوْمَ الْآزْمَةِ إِنَّكُمْ لَعِندَهُ لَمَّا نُقِيتُم مِّنْ آلَادِكُمْ أَنتُمْ وَآلَاؤُكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَتَكُنُّمُ اللَّامِقِينَ ﴾ [النساء : ٢٥٠] .

قدم من يترك الأمور به اكتفائه بما يعجز به القدر .

ومن هنا يُعرف أن السبب المأمور به أو المباح لا يُنافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب ، بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب ؛ إذ ليس في المحلوقات ما هو

كذبا وكذبا ! ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح
عمل الشيطان ،^(١)

ففى قوله ﷺ : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ،
ولا تعجز » أمر بالتسبب بالمأمور به وهو الحرص على النافع ،
وأمر مع ذلك بالتوكل ، وهو الاستعانة بالله . فمن اكتفى
بأحدهما فقد عصى أحد الأمرين ؛ ونهى عن العجز الذى هو
ضد الكيس كما قال فى الحديث الآخر : « إن الله يلوم على
العجز ، ولكن عليك بالكيس » .

وكما فى الحديث الشامى : « الكيس من دان نفسه ،
وعمل لما بعد الموت ؛ والعاجز من أتبع نفسه هواها ثم تمنى
على الله »^(٢) .

فالعاجز فى الحديث مقابل الكيس ، ومن قال : العاجز الذى
هو مقابل التبر : فقد حوِّف الحديث ولم يفهم معناه .

(١) أخرجه مسلم [٣٤/٢٦٦٤] .

(٢) رواه ابن ماجه [٤٢٦٠] عن شداد بن أوس رضى الله تعالى
عنه وضعفه الألبانى .

وتترك ما أمر به من التوكل ، بأعظم ذنباً ممن فعل توكلأ ما أمر
به وترك فعل ما أمر به من السبب . إذ كلاهما مُخل ببعض ما
وجب عليه ، وهما مع اشتراكهما فى جنس الذنب فقد يكون
هذا الذم وقد يكون الآخر مع أن التوكل فى الحقيقة من جملة
الأسباب .

وقد روى أبو داود فى سننه أن النبى ﷺ قضى بين رجلين
فقال المقتضى عليه لما أدبر : حشمى الله ونعم الوكيل ، فقال النبى
ﷺ : « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس فإذا
غلبك امرؤ فقل : حسبى الله ونعم الوكيل »^(١) .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن
النبى ﷺ أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن
بالله ولا تعجز ، فإن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان

(١) رواه أبو دود [٣٦٢٧] عن عوف بن مالك رضى الله تعالى
عنه وضعفه الألبانى .

وفوق هؤلاء من يجعل التوكل والدعاء أيضًا نقصاً وانقطاعاً
للخاصة، ظناً أن ملاحظة ما فرغ منه في القدر هو حال الخاصة،
وقد قال في هذا الحديث: «كلكم جائع إلا من أطعمته
فاستطعموني أطعمكم» وقال: «فاستكسوني أكسكم»
وفي الطبراني وغيره عن النبي ﷺ قال: «ليسأل أحدكم
زبده حاجته كلها حتى يشبع نعله إذا انقطع فإنه إن لم يسره
لم يتيسر» (١)

وهذا قد يلزمه أن يجعل أيضاً استهزاء الله وعمله بطاعته
من ذلك. وقولهم يُرجب دفع الأمور به مطلقاً بل دفع الخلق
والأمور، وإنما غلطوا من حيث ظنوا أن سبق التقدير يمنع أن
يكون بالسبب للأمور به، كما يتزندق فيتزك الأعمال الراجية
بناء على أن القدر قد سبق بأهل السعادة وأهل الشقاوة، ولم
يعلم أن القدر سبق بالأمور على ما هي عليه.

(١) رواه ابن جبان في صحيحه [٨١٦] عن أنس رضي الله
تعالى عنه وأبي يعلى في مسنده [٣٤٠٣] وقال الشيخ حسين
أسد: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الظلم ١٠٥

ومنه الحديث: «كل شيء يقدر حتى العجز والكبر» (٢)
ومن ذلك: ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه قال: «كان أهل اليمن يحنون، ولا
يتزودون، يقولون: نحن المتوكلون. فإذا قديماً مكة سألوا
الناس» (٣)

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَيْفَ تَقَابُكُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُ
الْمَتْرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٧] فمن فعل ما أمر به من التزود فاستعان
به على طاعة الله، وأحسن منه إلى من يكون محتاجاً، كان
مطيعاً لله في هذين الأمرين بخلاف من ترك ذلك ملتفتاً إلى
أزواد الحجاج كلاً على الناس، وإن كان مع هذا قلبه غير
ملتفت إلى معين فهو ملتفت إلى الجملة. لكن إن كان التزود
غير قائم بما يجب عليه من التوكل على الله، ومواساة المحتاج.
فقد يكون في تركه لا أمر به من جنس هذا التارك للتزود
الأمور به.

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٨٨/٢٦٥٥] عن عبد الله
ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما.
(٢) أخرجه البخاري [١٤٥١].

الظلم ١٠٤

النوع الثاني من المغفرة العامة التي دل عليها قوله : « يا عبادي ، إنكم تخطون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً » : المغفرة بمعنى تخفيف العذاب ، أو بمعنى تأخيرها إلى أجل مسمى ، وهذا عام مطلقاً ، ولهذا شفع النبي ﷺ في أبي طالب مع موته على الشرك فقتل من غمرة من نار حتى جعل في ضحضاح من نار . في قدميه نعلان من نار يغلي منها دماغه . قال : « لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » (١) وعلى هذا المعنى دل قوله سبحانه : ﴿ وَكَوْنُوا حِجَابًا لِللَّهِ الْعَظِيمِ كَسْبًا مَا تَكْرَهُ عَنِ الظُّلْمِ إِنَّ الظُّلْمَ كَانَ عِندَ اللَّهِ مُبْذُورًا ﴾ [فاطر: ٤٥] .

(١) أخرج مسلم [٣٦٤/٢١٣] عن العيمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان ويشركان من نار يغلي منهما دماغه ، كما يغلي الرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً » وقد صرح باسم أبي طالب في حديث الحاكم [٢٨٧٣٥/١٢٥٥/٤] وفي المنتخب من مسند عبد بن حميد [٧١١] .

روى الترمذي عن أبي خزيمة عن أبيه قال سألت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله أرأيت أدوية تكادى بها ورقى نستترقها بها وثقى ننتقيها هل تترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : « هي من قدر الله » (١) .

وأما قوله : « يا عبادي ! إنكم تخطون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً » وفي رواية : « وأنا أغفر الذنوب ولا أبالي فاستغفروني أغفر لكم » .

فالمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان :

أحدهما : المغفرة لمن تاب . كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُغْفِرُ الذُّنُوبَ أَشْرَافًا عَلَى أَفْسَاسِهِمْ لَا يَنْظُرُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي لَا يُنصِرُكَ ﴾ [الزمر: ٥٣ ، ٥٤] .

فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى : لا يعس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه ما كانت ، فإن الله سبحانه لا يتعاطفه ذنب أن يعفوه لعبده النائب ، وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فإن الله تعالى يعفّر ذلك لمن تاب منه .

(١) رواه الترمذي [٢١٤٨] وابن ماجه [٣٤٣٧] واللفظ له وضعفه الألباني .

يا عبادى ! لو أن أولاكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على
أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا .

والملك قد يُراد به القدرة على التصرف والتدبير ، ويراد به
نفس التدبير والتصرف ، ويراد به المملوك نفسه الذى هو محل
التدبير ، ويراد به ذلك كله ، وبكل حال فليس ير الأبرار
وفجور الفجار موجبا لزيادة شيء من ذلك ولا نقصه ، بل هو
مشيئته وقدرته يخلق ما يشاء . فلو شاء أن يمنع فجور الفجار
لم يمنع من ذلك مانع ، كما يمنع الملوك الجور رعاياهم التى
تعارض أوامرهم عما يختارونه من ذلك . ولو شاء لا يخلق مع
بر الأبرار شيئا مما خلقه ؛ لم يكن يرهم منحوجا له إلى ذلك ،
لا مميئا له كما يحتاج الملوك ويستعينون بكثرة الرعايا الطيبين .
وقوله : « لو أن أولاكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا
فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان منهم مسأله
ما نقص ذلك مما عندى إلا كما يُنقص الخيط إذا دخل
البحر » .

﴿ وَكَذَلِكَ يُكْرِهُنَّ اللَّهُ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿ وَإِنَّمَا أَصْحَابَكُم مِّنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٢٠] .

ففضل منه وإحسان ؛ إذ كل نعمة منه ففضل ، وكل تقمة منه عدل ، وهو وإن كان قد كتب على نفسه الرحمة ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين - كما تقدم بيانه - فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذي يكون عدلاً لا فضلاً . فهو الحسن بالإحسان ، وإحقيقه وكتابته على نفسه ، فهو في كتابته الرحمة على نفسه وإحقيقه نصر عباده المؤمنين ونحو ذلك محسن إحساناً مع إحسان .

وكما بين أنه محسن في الحسنات ثم إحسانه بإحسانها ، والجزاء عليها ، بين أنه عادل في الجراء على السيئات فقال :

« ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .
 كما تقدم بيانه في مثل قوله : **هُوَ وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ** [هود : ١٠١] . وعلى هذا الأصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التي فطر الناس عليها ^(١) .

○○○

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : [١٨٧/١٣٦ : ٢٠٩]

بتصرف .

يُفِيحُ أَنْ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ إِذَا سَأَلُوا وَهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَزَمَانٍ وَاحِدٍ فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مَا عِنْدَهُ إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخِيَاطُ - وَهِيَ الْإِبْرَةِ - إِذَا غَمِسَ فِي الْحَبْرِ . وَقَوْلُهُ : « لَمْ يَنْقُصْ مَا عِنْدِي » فِيهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِنْدَهُ أَمْراً مَوْجُودَةً يُعْطِيهِمْ مِنْهَا مَا سَأَلُوهُ بِإِيَّاهِ ، وَعَلَى هَذَا يُقَالُ لَفِظِ « النَّقْصُ » عَلَى حَالِهِ ؛ لِأَنَّ الْإِعْطَاءَ مِنَ الْكَبِيرِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً فَلْيَأْبُدْ أَنْ يَنْقُصَهُ شَيْئاً مَا . وَمِنْ رَوَاهُ « لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مَلِكِي » يُحْمَلُ عَلَى مَا عِنْدَهُ كَمَا فِي هَذَا اللَّفْظِ ، فَإِنْ قَوْلُهُ : « مَا عِنْدِي » فِيهِ تَخْصِيسٌ لَيْسَ هُوَ فِي قَوْلِهِ : « مِنْ مَلِكِي » . ثُمَّ خُصِمَ بِتَحْقِيقِ مَا بَيْنَهُ فِيهِ مِنْ عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ فَقَالَ : « يَا عِبَادِي ! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .

فبين أنه محسن إلى عباده في الجراء على أعمالهم الصالحة إحساناً يستحق به الحمد ؛ لأنه هو النعم بالأمر بها والإرشاد إليها والإعانة عليها ثم إحسانها ثم توفيق جزائها ، فكل ذلك

إلى عباده وقد فسر كثير من العلماء الظلم بأنه: وضع الأشياء في غير مواضعها ، وأما من فسره بالتصرف في ملك الغير بغير إذنه - وقد نقل نحوه عن ياس بن معاوية وغيره - فإنهم يقولون : إن الظلم مستحيل عليه وغيره متصور في حقه لأن كل ما يفعله فهو تصرف في ملكه وقوله : وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يعني : أنه تعالى حرم الظلم على عباده محرماً فلا تظالموا فيما بينهم فحرام على كل عبد أن يظلم ونهاهم أن يظالموا فيما بينهم فحرام على كل عبد أن يظلم غيره مع أن الظلم في نفسه محرم مطلقاً ، وهو نوعان : أحدهما : ظلم النفس ، وأعظمه الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لعنن : ١٣] فإن الشرك جعل الخلق في منزلة الخالق فعبدته وتألّفه ، فهو وضع الأشياء في غير مواضعها ، وأكثر ما ذكر في القرآن وعيد للظالمين إنما أريد به الشركون كما قال الله عز وجل : ﴿ وَأَكْثَرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ثم يليه المعاصي على اختلاف أجناسها من كبائر وصغائر .

وقال العلامة ابن رجب :

قال الإمام أحمد : هو أشرف حديث لأهل الشام فقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي » يعني : أنه منع نفسه من الظلم لعباده كما قال عز وجل : « وما أنا بظلام للعبيد » وقال : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّ ظُلْمًا يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الاحقاف : ٢١٠] وقال : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٢٣١] وقال : ﴿ وَإِنَّا لَنَظْمِي لِّلْعَبِيدِ ﴾ [نعت : ٢٤٦] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا لَظُلْمًا لِّلنَّاسِ مَسِيئًا ﴾ [يونس : ٢٤٤] وقال : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا لَظُلْمًا مِّن مَّآلِ ذُرِّيَّتِهِ لِنَسَاءٍ ﴾ [النساء : ٢٤٠] وقال : ﴿ وَمَن يَمَسَّ مِن الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَنفَكُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه : ١١٢] والهضم : أن يقص من جواز حسنة ، والظلم : أن يعاقب بذنوب غيره . ومثل هذا كثير في القرآن ، وهو مما يدل على أن الله قادر على الظلم ، ولكن لا يفعله . فضلاً منه وجوداً وكرماً وإحساناً

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة
لأخيه فليتحلل منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن
يؤخذ لأخيه من حسبته فإن لم يكن له حسبات أخذ من
سبغات أخيه فطرحت عليه » .

قوله : « يا عبادي كلاكم ضال إلا من هدته فاستهدوني
أهدكم . يا عبادي كلاكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني
أطعمكم . يا عبادي كلاكم عار إلا من كسوته فاستكسوني
أكسكم . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر
للذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم » .

هذا يقتضي أن جميع المطلق مفتقرون إلى الله تعالى في
حلب مصالحهم وودفع مضارهم في أمور دينهم وديارهم ، وإن
العباد لا يملكون لأنفسهم شيئا من ذلك كله ، وإن من لم
يتفضل الله عليه بالهدى والرزق فإنه يجرهما في الدنيا ومن
لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أو خطاياها في الآخرة .

والثاني : ظلم العبد لعزبه وهو المذكور في هذا الحديث ،

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع :
« إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمته
بؤسكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » .

وروي عنه : أنه خطب بذلك في يوم النحر من يوم عرفة
وفي اليوم الثاني من أيام التشريق . وفي رواية : ثم قال :
« اسمعوا مني تعيشوا ، ألا لا تظالموا ، ألا إنه لا يحل مال
امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه » .

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الظلم ظلمات يوم
القيامة » .

وفيها عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم
يفلته . ثم قرأ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَعْتَدْتُمُ لِلشَّعْرِى وَهِيَ
ظَالِمَةٌ إِنَّ أَنْتُمْ لَشِدِيدَةُ آلِيمٍ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] .

يَتَّبِعُ لِي حَاطِبَتِي يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧٦﴾ رَبِّي حَتَّى لِي حُكْمًا
وَالْحَقِيقِي بِالْصَّالِحِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴿ [الدرء] فَإِنَّ مِنْ تَقَرُّدِ بَخْلَقِ الْعِبَادِ
وَبِهَاتِيهِ وَاحِيَاتِهِ وَرَامَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ فِي الْآخِرَةِ ؛
مَسْتَحَقٌّ أَنْ يَفْرُدَ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ وَالسُّؤَالِ وَالْتَضَرُّعِ
وَالِاسْتِكَانَةِ لَهُ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ كَذَلِكَ مِنْ
بَيْنَ يَدَيْكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ مُسْتَحْكِمٌ وَعَلَى عَمَّا
يُنْزِرُونَ ﴾ [الروم : ٤٠] .

وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ يَسْأَلَ الْعِبَادَ جَمِيعَ
مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْكِسْمَةِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ كَمَا يَسْأَلُونَهُ الْهُدَايَةَ وَالْمَغْفِرَةَ .

وَفِي الْحَدِيثِ : « لَيْسَالُ أَحَدِكُمْ رَبَّهُ حَاجَتُهُ كُلُّهَا حَتَّى
شَسَّعَ نَفْلَهُ إِذَا انْتَقَطَعَ » وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَسْأَلُ اللَّهَ فِي
صَلَاتِهِ كُلَّ حَوَائِجِهِ حَتَّى مَلَحَ عَجِينَتَهُ وَعَلَفَ شَاتَهُ . وَقَوْلُهُ :
« كَلَّاكُمْ ضَالٌ إِلَّا مِنْ هُدْيَتِهِ » قَدْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مَعَارِضُ
بِحَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ

الظالم ١١٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَتَّبِعُوا اللَّهَ فَهُوَ الشَّهِيدُ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ
يُجِدَ لَهُ وَايًا مَرِيضًا ﴾ [الكهف : ١٧٧] وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ ،
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [طه : ٢١]
وَقَالَ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .
وَقَالَ تَعَالَى حَاكِمًا عَنِ آدَمَ وَرُزِجَهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُمَا :
﴿ فَأَلَّا رِيئًا فَلَمَّا أَنْفَسْنَا وَكُنَّا لَمْ نَعْتَفِرْ لَنَا وَتَوَخَّعْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] وَعَنِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَآلَا تَعْتَفِرُ لِي وَتَرَحَّمْتِي أَكُنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٧] .

وَقَدْ اسْتَمَالَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَفْرُدِ اللَّهِ بِهِذِهِ
الْأُمُورَ عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا أُشْرِكَ مَعَهُ بَاطِلٌ .
فَقَالَ لِقَوْمِهِ : ﴿ أَوَلَمْ يَتَّبِعُوا مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ يَا بَنِي آدَمَ
الْأَقْبَامُونَ ﴾ ﴿ وَأَنَّهُمْ عَلَوْا لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي
فَهُوَ بِعِيدِي ﴾ ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴾ ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
بِشْفِيرِي ﴾ ﴿ وَالَّذِي يُسَيِّئُ لِمَنْ يَحْسَبِينَ ﴾ ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ
الظالم ١١٦

كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » .

وأما سؤال المؤمن من الله الهداية : فإن الهداية نوعان : هداية مجملة : وهي الهداية للإسلام والإيمان ، وهي حاصلة للمؤمن . وهداية مفصلة : وهي هداية إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام ، وإعانتة على فعل ذلك . وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلا ونهارا . ولهذا أمر الله عباده أن يقرأوا في كل ركعة من صلاتهم قوله : ﴿ هُدَيْنَا الصِّرَاطَ السَّيِّدَ ﴾ [الفاتحة : ٢٦] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه بالليل : « اهدني لا اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » . ولهذا يشمت الماطس فيقال له : « يهديكم الله » كما جاءت به السنة .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا أن يسأل الله السداد والهدى ، وعلم الحسن أن يقول في قنوت الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت » .

١١٨ عن رجب : « صنف عبادي حنفاء - وهي رواية مسلمين

- فأجالتهم الشياطين » وليس كذلك فإن الله خلق نبي آدم وقطرهم على قبول الإسلام والليل إليه دون غيره والتبوء والاستعداد له بالقوة لكن لا بد للمبد من تعليم الإسلام بالفعل فإنه قيل التعلم جاهل لا يعلم كما قال الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [النمل : ٢٧٨] وقال لبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [الضحى : ٢٧] والمراد : وجدك غير عالم بما علمك من الكتاب والحكمة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُؤْيَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ مِنْ نَسْفَةٍ مِثْلِ جَنَابِذٍ ﴾ [العنكبوت : ٢٥٢] .

فالإحسان يولد مضطورا على قبول الحق فإن هداه الله تعالى سبب له من يعلمه الهدى فصار مهديا بالفعل بعد أن كان مهديا بالقوة وإن خذله الله قبض له من يعلمه ما يغير فطرته

فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أين أنت من الاستغفار يا حذيفة إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » .
ومن حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني أستغفر الله مائة مرة وأتوب إليه » .
وروى النسائي من حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال كنا جلوسا فجاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله مائة مرة » .
وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول : « رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم » .
وروى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال لم أكر أن يقول : « أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وروى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها

وأما الاستغفار من الذنوب : فهو طلب المغفرة ، والحمد أصح شيء إليه لأنه يخطيء بالليل والنهار . وقد تكرر في القرآن ذكر التوبة والاستغفار والأمر بهما واختلف عليهما .
وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل نبي آدم خطاه وخير الخطائين التوابون » .
وخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة » .
وخرج من حديث الأغر المزني رضي الله تعالى عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة » .
وخرجه النسائي ولفظه : « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم واستغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم مائة مرة » .
وخرج الإمام أحمد من حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه يقال كان في لساني ذرب على أهلي لم أعده إلى غير

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ تَجَافَىٰ عَنِ الْمَلَائِكَةِ ﴾ [آل عمران: ٢٩٧] وقال : ﴿ هُوَ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لَلِئُولِمْهَا وَلَا يَمَازُهَا وَلَا لَكِن يَبَالُهُ الْقَتُولَىٰ بِكُمْ ﴾ [الفتح: ٢٣٧] والمعنى : أنه تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه كما أنه يكره منهم أن يعصوه ولهذا يفرح بتوبة التائبين أشد من فرح من ضلت راحته التي عليها طعامه وشرا به بفلاة من الأرض وطلبها حتى أعصى وأيس منها واستسلم للموت وأيس من الحياة ثم غلبته عينه فنام واستيقظ وهي قائمة عنده ، وهذا أعلى ما يتصوره الخلق من الفرح . هذا كله مع غناه عن طاعات عباده إليه وأنه إنما يعد نعمها إليهم دونه ولكن هذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده ومحبه لنفوسهم ودفن الضرع عنهم ، فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويتقوه ويطيعوه و يتقربوا إليه ، ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب غيره وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده . كما في رواية عبدالحرحمن بن غنم عن أبي ذر لهذا الحديث : « من علم منكم أي ذو قدرة على المغفرة ثم استغفرتني غفرت له ولا أبالي » .

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبَشَرُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا » [البقرة: ١٢٨] وقوله : « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتتفعموني » يعني أن العباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعاً ، فإن الله تعالى في نفسه غني حميد لا حاجة له بطاعات العباد ولا يعود نفعها إليه وإنما هم يتتفعمون بها ، ولا يتضرر بمصاصيهم وإنما هم يتضررون بها . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يُصِرُّوا اللَّهُ سَعِيًّا ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقال : ﴿ وَمَن يَتَّقِلْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَصِّرَ اللَّهُ سَعِيًّا ﴾ [آل عمران: ١١٤] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته : « ومن بعض الله ورسوله فقد غوى ولا يضرب إلا نفسه ولا يضرب الله شيئا » . قال الله عز وجل : ﴿ وَإِن كَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا جَبِيًّا ﴾ [النساء: ١٣١] . وقال حاكيا عن موسى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن كُنْتُمْ تَأْتُونَنِي فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنَاكَ اللَّهُ لَعْنَىٰ جَمِيعًا ﴾ [إبراهيم: ٨] .

فرجع إلى باب الدار فجعل يبكي ويقول : يا أمّاه من يفتح لي الباب إذا أغلقتِ بابك عني ومن الذي يديني إذا غضبت علي ؟ فرحمته أمه فظنرت من خلل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على خديه متمسكا في التراب ففتحت الباب وأخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله وتقول : يا قرة عيني ويا عزيز نفسي أنت الذي حملتي علي نفسك وأنت الذي تعرضت لما حل بك ، لو كنت أطعتني لم تلق مني مكروها . فتواجهت الفتى ثم صاح وقال : قد وجدت قلبي . قد وجدت قلبي .

وتفكروا في قوله تعالى : ﴿ وَالذُّبُرُكُ إِذَا قَعَلْتُمْ وَتَجَسَّعْتُمْ أَوْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ذُكِّرُوا بِاللَّهِ فَأَسْتَغْفِرُوا لِلذُّبُرِيِّمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّبُرُكُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .

فإن فيه إشارة إلى أن المذنبين ليس لهم من يلجأون إليه ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيره ، وكذلك قوله في حق الثلاثة الذين خانوا : ﴿ وَكُلُّ الْفَالِكِ الذُّبُرُكُ خَلْفًا حَقًّا إِذَا سَأَلْتُمْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضِ بِمَا رَزَجْتُمْ وَوَأَقَاتِ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَةَ ﴾

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن عبداً أتىب ذنباً فقال : يا رب إني فعلت ذنباً فاغفر لي . فقال الله : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي » . وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه لما ركب دابته حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا وقال : سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ثم ضحك وقال : إن ربك لمعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي ، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري » .

رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والله لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها » .

كان بعض أصحاب ذي النون يطوف ينادي : آه أين قلبي ؟ من وجد قلبي ؟ فدخل يوما بعض السكاك فوجد صيدا يبكي ، وأمه تضربه ثم أخرجه من الدار وأغلقت الباب دونه ، فجعل الصبي ياتفت بينا وشمالا لا يدري أين يذهب ولا أين يقصد

أناخ يبايى فحجته ؟ أنا الفضل ومنى الفضل ، أنا الجواد ومنى الجواد ، وأنا الكريم ومنى الكرم . ومن كرمي أن أضعف للماصين بعد المماصي ومن كرمي أن أعطي العبد ما سألني وأعطيه ما لم يسألني ، ومن كرمي أن أعطي النائب كأنه لم يعصني . فأين إلى غيره يهرب الخلائق ؟ وأين عن بابه يلتجئ الماصون ؟

خرجه أبو نعيم .

ولبعضهم في المعنى قائل :

أسأت ولم أحسن وجتلك تابها وأني لعبد عن مواليه يهرب يؤمل غفرانا فإن خاب ظنه فماأحد منه على الأرض أخيب تقوله بعد هذا : « يا عبادي لو أن أولاكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، ولو أن أولاكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، هو إشارة إلى أن ملكه لا يزيد بطاعة الخلق ولو كانوا كلهم برة أتقيا قلوبهم على قلب أتقى رجل منهم ،

وَقُلُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِمَتُّهُمْ أَلَّا يَكْفُرُوا بِمَا كَفَرُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ [التوبة: ١١٨] فرتب توبته على ظنهم أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فإن العبد إذا خاف من مخلوق ؛ هرب منه وقرأ إلى غيره . وأما من خاف من الله فما له من ملجأ يلجأ إليه . ولا مهرب يهرب إليه إلا هو فيهرب منه إليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه :

« لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك » وكان يقول : « أعوذ

برضائك من سخطك وبعمقوك من عقوبتك وبرك منك » .

قال النفصيل بن عياض رضي الله تعالى عنه : « ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخب الليل سريال سترها إلا نادى الجليل جل جلاله : من أعظم مني جودا والخلائق لي عاصون وأنا لهم مراقب ، أكلوهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني ، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم ، أجود بالفضل على الماصي وأتفضل على المسيء ؟ من ذا الذي دعاني فلم أستجب إليه ؟ أم من ذا الذي سألني فلم أعطه ؟ أم من الذي

نظر ، وهو يخالف ما في الحديث من أن جميع الخلق لو كانوا على صفة أكمل خلقه من البر والتقوى ؛ لم يزد ذلك في ملكه شيئا ولا قدر جناح بعوضة ، ولو كانوا على صفة أنقص خلقه من الفجور ؛ لم ينقص ذلك من ملكه شيئا . فدل على أن ملكه كامل على أي وجه كان ، لا يزد ولا يكمل بالطاعة ولا ينقص بالمعاصي ولا يؤثر فيه شيء .

وفي هذا الكلام دليل على أن الأصل في التقوى والفجور هي القلوب ، فإذا بر القلب واتقى ؛ برت الجوارح وإذا فجر القلب فجرت الجوارح . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التقوى لهما » وأشار إلى صدره .

قوله : « لو أن أولاكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر » . فالمراد بهذا : ذكر كمال قدرته سبحانه وكمال ملكه وأن ملكه وخزائنه لا تنفذ ولا تنقص بالعطاء ولو أعطي الأولين

ولا ينقص ملكه بمصيبة المعاصين ولو كان الجن والإنس كلهم عصاة ففجرة قلوبهم على قلب أفجر رجل منهم ، فإنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله فملكه ملك كامل لا تنقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان .

ومن الناس من قال : إن إيجاده خلقه على هذا الوجه الموجود أكمل من إيجاده على غيره وهو خير من وجوده على غيره وما فيه من الشر : فهو شر إضافي نسبي بالنسبة إلى بعض الأشياء دون بعض ، وليس شرا مطلقا بحيث يكون عدمه خيرا من وجوده من كل وجه بل وجوده خير من عدمه وقال : هذا معنى قوله : « يبدئه الخير » .

ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « والشر ليس إليك » يعني أن الشر الخفض الذي عدمه خير من وجوده ؛ ليس موجودا في ملكك ، فإن الله تعالى أوجد خلقه على ما تقتضيه حكمته وعدله ، وخص قوما من خلقه بالفضل وترك آخرين منهم في المعدل لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وهذا فيه

ويطرق بابه بالكبريات ويبيدي مفاتيح الخزانين وباني مفتوح لمن دعاني ؟ من ذا الذي أملتني لثابتة فقطعت به ؟ أو من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت به ؟ أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له ؟ أنا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني ؟ أبخيل أنا فيبخلني عبيدي ؟ أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي ؟ فما يمنع المؤمنين أن يؤملوني ؟ لو جمعت أهل السماوات والأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع وبلغت كل واحد أمه لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة ، كيف ينقص ملك أنا قيمه ؟ فيا يؤوسا للقائطين من رحمتي ، ويا يؤوسا لمن عصاني وتوئب على محارمي « .

وقوله : « ولم ينقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر » لتحقيق أن ما عنده لا ينقص البتة ، كما قال سبحانه : ﴿ مَا عِنْدَكَ يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] فإن البحر إذا غمس فيه إبرة ثم أخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئا وكذلك لو فرض أنه شرب منه عصفور مثلا فإنه لا ينقص من البحر البتة ، ولهذا ضرب الخضر لموسى عليهما

والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد وفي ذلك حث للمخلق على سؤاله وإنزال حوائجهم به . . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة . سحاء الليل والنهار ، أفأرىتم ما أنفق ربكم منذ خلق السماوات والأرض : فإنه لم يغيض ما في يمينه « .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء « .

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه : إذا دعوت الله فارفعوا في المسألة فإن ما عنده لا ينفذه شيء ، وإذا دعوت فاعزموا فإن الله لا مستكره له .

وفي بعض الإسرائيليات يقول الله عز وجل : « أيؤمل غيري للشدائد والشدائد يبدي وأنا الحي القيوم ؟ ويرجى غيري



الباطلي من قوله : قال أبو أمامة : وكذلك الشراب يشرب منه حتى تنتهي نفسه ثم يعود مكانه . وروى بعض العلماء الصالحين بعد موته بمدة في المنام فقال : « ما أكلت منذ فارقكم إلا بعض فرخ أما علمتم أن طعام الجنة لا يتفد » . وقد تبين في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه السبب الذي لأجله لا يتقص ما عند الله بالمعطاء بقوله : « ذلك بأني جواد واجد ماجد ، أفعل ما أريد ، عطائي كلام وعذابي كلام ، إنما أمري لشيء إذا أردت إنما أقول له كن فيكون » . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَادْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] .

وفي مسند البرار بإسناد فيه نظر من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خزانة الله الكلام فإذا أراد الله شيئا قال له كن فكان » . فهو سبحانه إذا أراد شيئا من عطائه أو عذابه أو غير ذلك

السلام هذا المثل في نسبة علمهما إلى علم الله عز وجل وهذا لأن البحر لا يزال تمدد مياه الدنيا وأنهارها الجارية فمهما أخذت منه لم يتقصه شيء لأنه يمدد ما هو أزيد مما أخذت منه . وهكذا طعام الجنة وما فيها ؛ فإنه لا يتقص كما قال تعالى : ﴿ وَتَكَهَفَرٌ كَثِيرَةٌ ۖ لَا تَقْطُرُوعُهُ وَلَا تَمْتَرُهُ ﴾ [الزمر : ٢٠] .

وقد جاء : « كلما نرعت ثمرة عاد مكانها مثلها » وروي : « مثلاها فتهي لا تنقص أبدا » ويشهد لذلك : قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الكسوف : « ورأيت الجنة فتنازلت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا » .

أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ورواه الإمام أحمد من حديث جابر ولفظه : « ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يتقصونه شيئا » . وهكذا لحم الطير الذي يأكله أهل الجنة يستخلف ويعود كما كان حيا لا يتقص منه شيء .

وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه فيها ضعف ، وقاله كعب ، وروي أيضا عن أبي أمامة

أُوفِيَكُمْ إِيَّاهَا ۖ يعني : أنه سبحانه يعمي أصمال عباده ثم يوفيه إياها بالجاء عليها . وهذا كقوله : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة] وقوله : ﴿ وَوَعَدْنَا مَا عَمِلُوا خَيْرًا وَلَا يُظِلُّ رَبُّكَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الكهف: ٤٩] .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَجْعِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْسِنًا وَلَا نَجْعِلُ مِنْ شَرِّهِمْ بَدَلًا ﴾ [الزمر: ١٠] .
وقوله : ﴿ يَوْمَ يَمُنُّونَ بِاللِّبَةِ ﴾ [البقرة: ٢٤] .
وقوله : ﴿ وَوَعَدْنَا الْمُحْسِنِينَ وَالْعَمَلُ يُؤْتِيهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَجْرًا ﴾ [الزمر: ١٠] .

وقوله : ﴿ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ۖ الظاهر أن المراد توفيتها يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَا الْمُحْسِنِينَ وَالْعَمَلُ يُؤْتِيهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَجْرًا ﴾ [الزمر: ١٠] .
وقوله : ﴿ وَوَعَدْنَا الْمُحْسِنِينَ وَالْعَمَلُ يُؤْتِيهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَجْرًا ﴾ [الزمر: ١٠] .
وقوله : ﴿ وَوَعَدْنَا الْمُحْسِنِينَ وَالْعَمَلُ يُؤْتِيهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَجْرًا ﴾ [الزمر: ١٠] .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر ذلك بأن المؤمنين يجازون بسيفاتهم في الدنيا ، وتدخر لهم حسناتهم في الآخرة .
الظلم

قال له : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فكيف يصور أن ينقص هذا ؟ وكذلك إذا أراد أن يخلق شيئا قال له : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .
كما قال : ﴿ إِنْ مَثَلٌ مِمَّنْ جِئْتَهُ مِنَ اللَّهِ كَيْفَ مَا دَامَ خَلْقُهُ ﴾ [الزمر: ١٥] .

وفي بعض الآثار الإسرائيلية : « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : يا موسى . لا تخافن غيري ما دام لي السلطان . وسلطاني دائم لا يقطع ، يا موسى . لا تهتمن برزقي أبدا ما دامت علوة لا تفني أبدا ، يا موسى . لا تأنس بغيري ما وجدتهني أنيسا لك ، متى طلبتني وجدتهني ، يا موسى . لا تأمن مكوري ما لم تجز الصراط إلى الجنة » .

وقال بعضهم :
لا تخضعن لخلق على طمع فإن ذلك نقص منك بالدين واسترزق الله معاً في خزانته فإن رزقك بين الكاف والنون وقوله : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفى بها لهم من جنات تجري من تحتها الأنهار » .

الحجة قائمة على العبد بإنزال الكتاب وارسال الرسول ، فما بقي لأحد من الناس على الله حجة بعد الرسل . قوله بعد هذا : و فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، إن كان المراد من وجد ذلك في الدنيا ؛ فإنه يكون حينئذ مأمورا بالحمد لله على ما وجدته من جزاء الأعمال الصالحة الذي عجل له في الدنيا كما قال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ دَخَرَ آوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] ويكون مأمورا بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب ، التي وجد عاقبتها في الدنيا . كما قال تعالى : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة : ٢١] فالؤمن إذا أصابه في الدنيا بلاء رجع إلى نفسه باللوم ودعا ذلك إلى الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار .
وفي المسند وسنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم عافاه الله منه ؛ كان

الآخرة فيوفون أجورهم ، وأما الكافر فإنه يجعل له في الدنيا ثواب حسنته وتلدخه له سيئاته فيعاقب بها في الآخرة ويوفيه جزاءها من خير أو شر ، فالشر يجازى به مثله من غير زيادة إلا أن يعفو الله عنه ، والخير تضاعف الحسنة عنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف . إلى أضعاف كثيرة لا يعلم قدرها إلا الله ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤِثِّرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] وقوله : « فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » إشارة إلى أن الخير كله فضل من الله على عبده من غير استحقاق له ، والشر كله من عند ابن آدم من أتباع هوى نفسه كما قال عز وجل : ﴿ مَا آصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا آصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] . وقال على رضي الله تعالى عنه : « لا يرجو عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه » .

فأله سبحانه إذا أراد توفيق عبده وهدايته ؛ أصانه ووقفه لطاعته . وكان ذلك فضلا منه ورحمة ، وإذا أراد خذلان عبده ؛ وكرهه إلى نفسه وخطى بينه وبينها ، فأغواه الشيطان لفصلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فوطا و كان ذلك عدلا منه فإن

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ إِذَا أَخَذَ بِرَبْعِ الْعَرْسِ صَلَاتًا مُّقْتَدِرًا ۗ وَأَرْوَيْنَا الْأَنْهَارَ نَبِيًّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَزَّلْنَا ۗ ﴾ [الزمر: ٢٧٤].
 وقال تعالى: ﴿ وَكَانُوا لِلْمَسْكِينِ مِنَ الْبَرِّ عَنَاءً لَكِنِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ لَمْ يَأْكُلُوا مَالَهُمْ خَوْفًا بِمَا عَمِلُوا فَيَكُونُوا لَكُمْ حُرْمًا كَمَا كَانَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ مَالِهِمْ خَوْفًا ۗ ﴾ [النساء: ٢٥].
 وأخبر عن أهل النار أنهم يلومون أنفسهم أشد المقت قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا لِمَ نُسَبِّحُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن قَبْلِنَا إِنَّهُم كَانُوا فِي عَذَابٍ مُّتَسَاوِينَ ۗ وَآلِهَةٌ مِمَّا شَاءَ اللَّهُ ۗ وَالَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ أَتَمَسَّبِحُ لَهُمْ بِالَّذِينَ كَانُوا فِي عَذَابٍ مُّتَسَاوِينَ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ ﴾ [النحل: ٢٥].
 وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَكُثْرًا ۚ بِمَا تَوَدَّعَتِ الْأَعْيُنُ مِنَ الْإِيمَانِ أَكْثَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۗ ﴾ [غافر: ١٠].
 وقد كان السلف الصالح يجهدون في الأعمال الصالحة حذرا من لوم النفس عند انقطاع الأعمال على التقصير. وفي

كفارة لا مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره. وإن المناق إذا مرض وعوفي؛ كان كالبعير عقله أهله وأطلقوه لا يدري بما عقله ولا بما أطلقوه.
 وقال سلمان الفارسي: «إن المسلم ليطي فيكون كفارة لا مضى ومستعجا فيما بقي، وإن الكافر يطى فمطه كمثل البعير أطلق فلم يدرك ما أطلق وعقله وإن كان المراد: من وجد خيرا أو غيره في الآخرة؛ كان إخبارا منه بأن الذين يحدون الخير في الآخرة يحدون الله على ذلك، وأن من وجد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه حين لا يفقه اللوم. فيكون الكلام لفظه لفظ الأمر ومعناه الخير، كقوله صلى الله عليه وسلم: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».
 والمعنى: أن الكاذب عليه؛ يتبوأ مقعده من النار. وقد أخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يحدون الله على ما رزقهم من فضله فقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مَا فِي صُُورِهِمْ مِنْ عَلِيمٍ يُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَأْتِي الْكَافِرِينَ ۗ هَذَانِ الَّذِينَ يُؤْتَوْنَ أَجْرًا مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ ﴾ [النحل: ٩٧].
 إن هَدَانَا اللَّهُ ﴿ [الأعراف: ٤٣].

يقول : واجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر ما ترجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات ، وإن يكن الأمر شديدا كما نخاف ونحذر لم تقل : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مَعْمَل صَلَاتِنَا مِن الدُّنْيَا وَتَجَمَّلْ بِهَا لِيَوْمَ تُنْفَخُ السَّمَاوَاتُ ﴾ [النور: ٣٧] تقول : قد عملنا فلم ينفعنا ذلك ه (١١) .

○○○

(١) جامع العلوم والحكم للملازمة ابن رجب [ص : ٣٥٠] دار الجليل - بيروت .

الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا : « ما من ميت يموت إلا ندم ؛ إن كان محسنا ندم على أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون استعيب » وقل لسروق : لو قصرت عن بعض ما تصنع من الاجتهاد فقال : والله لو أتاني آت فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة . قيل : كيف ذلك ؟ قال : حتى تعذرني نفسي إن دخلت النار أن لا ألومها ؛ أما بلغك في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْسِمُ بِاللَّغْوِ ﴾ [الغاشية: ٢٢] إنما لا موا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الأمانى ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه .

وكان عامر بن عبد قيس يقول : « والله لأجتهدن ثم والله لأجتهدن ، فإن نجوت فبرحمة الله ، وإلا لم ألم إلا نفسي . وكان زياد ابن عياش يقول لابن المنكدر ولصفوان بن سليم : الجهد الجهد والحذر الحذر . فإن يكن الأمر على ما ترجو كان فضلا ، وإلا لم تلوما إلا أنفسكما » وكان مطرف بن عبد الله

٦٠.....	النتهى عن الركون إلى الظالم
٦٢.....	الظلم سبب للهلاك
٦٥.....	كيف ينتقم الله من الظالم ؟
٦٨.....	حال الكافر والظالم يوم القيامة
٧٣.....	عقاب الظالم في الدنيا قبل الآخرة
٧٨.....	العمل .. حتى مع الكفار والظالمين
٨٠.....	جزاء السرف في الظلم
٨٤.....	الإسراف .. يمدد مقومات الحياة
٨٦.....	الإسراف .. فساد في الاختيار
٨٩.....	الإسراف .. ظلم من الإنسان لنفسه

شرح حديث أبي فر رضى الله تعالى عنه

« يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى .. »

٩٣.....	لشيخ الإسلام ابن تيمية
١١٢.....	والملائمة ابن رجب رضى الله تعالى عنهما
١٤٢.....	الفهرس

٤.....	مقدمة الناشر
٧.....	أحب الخلق إلى الله
١٠.....	تكريم الله تعالى لبنى آدم
١٣.....	نعمة الله تعالى على الإنسان
١٥.....	لا يظلم المعلم المعلم ولا يتعلمه
١٩.....	التيسير على المسلم
٢٨.....	الظلم ظلمات
	أعظم الظلم

الظلم والظالمون

٣٧.....	الظلم
٤٣.....	إن الله لا يظلم مثقال ذرة
٤٨.....	الرسول ﷺ متره عن الظلم
٥٣.....	ظلم النفس